جامعة الأزهر
كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنات – بني سويف

أسلوب التكرار
دراسة تاريخية بلاغية نقدية

إعداد

أ.د / أحمد منصور خلف الله
أستاذ البلاغة والنقد المساعد

١٤١١

المقدمة

الحمد كله لله رب الأرباب، أنزل على عبده الكتاب تبصرة لأولي الألباب وجعله أعظم الكتب نظما وأبلغها في الخطاب، وصلى الله على نبيه وعبده المبعوث من أكرم الخلق وأشرف الشعاب، إلى خير أمة بأفضل كتاب، عليه وعلى آله وصحبه الأنجاب.

وبعد:

فإن التكرار طريقة واضحة في أسلوب القرآن، وظاهرة أسلوبية عالجها البلاغيون والنقاد العرب.

ويرى الأستاذ أمين الخولي أن التكرار سر من أسرار إعجاز القرآن النفسي فيقول: "إنَّ التكرار من أقوى طرق الإقناع وخير وسائط تركيز الرأي والعقيدة في النفس البشرية، على هِينَةٍ وفي هَوَادة دون استثارة لمخالفيها بالجدل أو المشادة، في نظم البرهان والتعرض البادي للاستدلال إلى آخر ما يسوق علماء النفس على ذلك من شواهد ومثل علمية، تغني عن اختراع الوجوه في تعليل التكرار القرآني وجعله مثار الجدل والاختلاف"[1].

وهو -أيضا- فن من الفنون البلاغية، له مكانة رفيعة في البيان العربي إذا صدر عن شخصية موهوبة، وطبع سليم، وغير متكلف.

ولهذا كله حاولت في هذا البحث معرفة هذا الفن والوقوف على بلاغته ودوره في أداء المراد، وأيضاً معرفة مَنْ شارك من العلماء في إبرازه وبيان بلاغته.

---

[1] مناهج تجديد في النحو والبلاغة والأدب – أمين الخولي ص (٢١٠) الطبعة الأولى – دار المعرفة.

وجاء هذا البحث في فصلين وخاتمة. تحدثت في الفصل الأول عن معنى التكرار في اللغة والاصطلاح ونشأة هذا الأسلوب وتطوره وجهود العلماء في إبرازه، ومحاولة معرفة أسراره في القصص القرآني، وفي الفصل الثاني تحدثت عن بلاغة هذا الأسلوب إجمالاً، وفي الخاتمة تحدثت عن خلاصة البحث ومجمله.

اسأل الله - تعالى- أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، وأن أكون قد أضفت جديداً يذكر إنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الأول

أولا: معنى التكرار:

في اللغة: كرر الشيء وكركره: أعاده مرةً بعد أُخرى، والكَرَّةُ: المَرَّةُ والجمع الكرّات، والكَرُّ: الرجوع على الشيء، ومنه التكرار.

ويقول الجوهري: كرّرت الشيء تكريراً وتكراراً[١].

وفي الاصطلاح: دلالة اللفظ على المعنى مردّداً، لتأكيد غرض من أغراض الكلام، أو للمبالغة فيه[٢].

أو هو إعادة ذكر كلمة، أو عبارة، بلفظها ومعناها في موضع آخر، أو مواضع متعددة، من نص أدبي واحد[٣].

ثانياً: نشأة التكرار وتطوره:

التكرار عند الجاحظ:

يعد الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥هـ أول من تحدث عن التكرار، وكان يسميه بالترداد، وبسط الكلام وزيادته، وهذا واضح في تعليقه على قصة ابن السماك المتوفى (١٨هـ) التي حكاها عنه فقال: "وجعل ابن السماك يوما يتكلم وجارية له تسمع كلامه فلما انصرف إليها قال لها: كيف سمعت كلامي؟ قالت: ما أحسنه، لولا أنك تكثر ترداده، قال: أردده حتى يفهمه مَنْ لم يفهمه، قالت: إلى أن يفهمه من لا يفهمه قد ملّه مَنْ فهمه".

---

(١) لسان العرب مادة "كرر" .

(٢) البلاغة الفنية – علي الجندي– ص ١٨٢.

(٣) البحث البلاغي عند العرب د/ شفيع السيد ص (١٧١).

ونقل أيضاً أنه مكتوب في التوراة: "لا يعاد الحديث مرتين.....، وقال الزهري: إعادة الحديث أشد من نقل الصخر"[١].

ثم أشار إلى السبب الذي من أجله يحسن التكرار فقال: "وجملة القول في الترداد أنه ليس فيه حدٌّ ينتهي إليه، ولا يؤتى على وصفه وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص....." .

ثم بين أن الله -عز وجل- ردّد ذكر قصة موسى وهود، وهارون وشعيب وإبراهيم ولوط، وعاد وثمود، وكذلك ذكر الجنة والنار وأمور كثيرة؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبي غافل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب.

وأما أحاديث القصص.....فإني لم أر أحداً يعيب ذلك، وما سمعنا بأحد من الخطباء كان يرى إعادة بعض الألفاظ عيّاً"[٢].

ثم أشار إلى أن القرآن الكريم في خطابه لبني إسرائيل كان يكثر من التكرار وبسط الكلام وزيادته فقال: ورأينا الله – تبارك وتعالى- إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف، وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكى عنهم جعله مبسوطا وزاد في الكلام"[٣].

التكرار عند ابن قتيبة:

تحدث – أيضاً- ابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦هـ عن التكرار، حيث تعرض له في بعض سور القرآن الكريم، وكان ذلك في معرض كلامه عن جمال النظم

---

(١) البيان والتبيين جـ١ ص (١٠٤).

(٢) نفسه جـ١ ص (١٠٥).

(٣) الحيوان جـ١ ص (٩٤) .

القرآني ووقوفه عند الإطناب وتكرار الكلام والزيادة فيه، فقد يتوهم بعض المارقين والمتزندقة وجود حشو في الأسلوب القرآني، وفضوله في التعبير واستطاع بالبحث وإعمال الفكر، وإلطاف الروية، والرجوع إلى العرف اللغوي والذوق أن يحدد ملامح الصورة، ووقف عند تكرار الأنباء والقصص[١].

ومن السور التي تعرض لبيان أسلوب التكرار فيها سورتا "الكافرون" و"الرحمن"، ففي السورة الأولى يقول الله – تعالى – على لسان نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم – مخاطباً الكافرين: ﴿لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾. وفي السورة الثانية تكرَّر قوله تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ على مدار السورة كلها.

وفسَّر ابن قتيبة ذلك بأن هذا التكرار جار على مذاهب العرب وأن الغرض منه التوكيد والإفهام فقال:.....إن القرآن نزل بلسان القوم وعلى مذاهبهم، ومن مذاهبهم التكرار: إرادة التوكيد والإفهام، كما أن من مذاهبهم الاختصار: إرادة التخفيف والإيجاز؛ لأن افتنان المتكلم والخطيب في الفنون وخروجه من شيء إلى شيء – أحسن من اقتصاره في المقام على فن واحد"[٢].

وقد تأثر ابن قتيبة بأبي عبيدة حيث ركز في كتابه مجاز القرآن على أن الله قد خاطب العرب على قدر كلامهم، فإذا حلل نصاً قرآنياً استشهد بنص أدبي من كلام العرب، وهكذا فعل ابن قتيبة وهو يتحدث عن أسلوب التكرار في القرآن

---

[١] تأويل مشكل القرآن ص (٢٣٤،٢٣٥).

[٢] تأويل مشكل القرآن ص (٢٣٥).

الكريم، فكلما تناول تكراراً في آيات القرآن أتى بالشاهد والدليل بما ورد من مأثور كلام العرب.

فيقول في قوله تعالى من سورة التكاثر: ﴿كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون﴾.

وقوله تعالى في سورة الانشراح: ﴿فإن مع العسر يسرا، إن مع العسر يسرا﴾.

وقوله تعالى في سورة القيامة: ﴿أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى﴾.

وقوله تعالى في سورة الانفطار: ﴿وما أدراك ما يوم الدين، ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾.

يقول: "كل هذا يراد به التأكيد للمعنى الذي كرر به اللفظ"[1]. ثم يستشهد لرأيه بما ورد من كلام العرب نثراً وشعراً فيقول: "....وقد يقول القائل للرجل: اعجل اعجل وللرامي ارم ارم".

وقال الشاعر:

"كَمْ نعمةٍ كانت لكُمْ كَمْ كَمْ وكَمْ"

وقول عبيد بن الأبرص:

هلا سألْتَ جُمُوعَ كِنْـ ـدةَ يَوْمَ وَلَّوْا أَيْنَ أَيْنا

وقال "عوف بن الخرع":

وكَانَتْ فَزَارَةُ تَصْلَى بِنَا فَأَوْلَى فَزارة أَوْلَى فَزَار

ويشرح ابن قتيبة موجب تأكيد المعنى بتكرار اللفظ الدال عليه، فيرى أنه ليس هناك موضع أولى بالتكرار للتوكيد من السبب الذي أنزلت فيه: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ لأنهم أرادوه على أن يعبد ما يعبدون، ليعبدوا ما يعبد، وأبدءوا في

---

[1] نفسه ص (٢٣٦).

وأعادوا، فأراد الله – عز وجل – حسم أطماعهم، وإكذاب ظنونهم، فأبدأ وأعاد في الجواب، وهو معنى قوله تعالى من سورة القلم: {ودوا لو تدهن فيدهنون} أي تلين لهم في دينك فيلينون في أديانهم"[١].

وقد ذكر ابن قتيبة وجها آخر للتكرار في هذه السورة، وهو أن القرآن لم ينزل دفعة واحدة، وإنما كان ينزل مفرقا على حسب الوقائع فكأن المشركين لما طلبوا من الرسول أولا أن يعبد آلهتهم ليعبدوا إلهه، أنزل الله – عز وجل – قوله {لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد} ثم غبروا مدة من الزمان وجاءوه فقالوا له: "اعبد بعض آلهتنا يوماً أو شهراً أو حولاً، ونعبد إلهك يوماً أو شهراً أو حولاً. فأنزل الله تعالى: {ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد} أي إن كنتم لا تعبدون إلهي إلا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه أبداً[٢].

وعن سر التكرار في سورة الرحمن يقول: "فإنه لما عدَّد في هذه السورة نعماءه وأذكر عباده آلاءه، ونبههم على قدرته ولطفه بخلقه ،ثم أتبع ذكر كل خلة وصفها بهذه الآية وجعلها فاصلة بين كل نعمتين، ليفهمهم النعم ويقررهم بها. وهذا كقولك للرجل أجل أحسنت إليه دهرك وتابعت عنده الأيادي، وهو في ذلك ينكرك ويكفرك: ألم أبوئك منزلاً وأنت طريد؟ أفتنكر هذا ؟ ألم أحملك وأنت راجل؟ ألم أحج بك وأنت صرورة أفتنكر هذا ؟[٣]

---

[١] نفسه ص (٢٣٧).

[٢] نفسه ص (٢٣٨).

[٣] نفسه ص (٢٣٩، ٢٤٠) والصرورة هو الرجل الذي لم يحج قط.

وذكر في تعليقه على تكرار المعنى بلفظين مختلفين، أن ذلك يكون لإشباع المعنى والاتساع في الألفاظ، وذلك كقول القائل: آمرك بالوفاء، وأنهاك عن الغدر، والأمر بالوفاء هو النهي عن الغدر، وآمرك بالتواصل، وأنهاك عن التقاطع، والأمر بالتواصل هو النهي عن التقاطع"[١].

وقد أشار ابن قتيبة إلى تكرار قصص الأنبياء في القرآن الكريم محاولاً بيان أسرار هذا التكرار ودواعيه، فبين أن الله – عز وجل – أنزل القرآن نجوماً تيسيراً منه على العباد وتدريجاً لهم إلى كمال دينه، ووعظهم وعظاً بعد وعظ تنبيهاً من سنة الغفلة، وشحذاً لقلوبهم بمتجدد الموعظة وأن الله لم يفرض على عباده أن يحفظوا القرآن كله، ولا أن يختموه في التعليم، وإنما أنزله ليعملوا بمحكمه ويؤمنوا بمتشابهه ويأتمروا بأمره، وينتهوا بزجره، ويحفظوا للصلاة مقدار الطاقة ويقرأوا فيها الميسور".

ثم يقول: "وكانت وفود العرب ترد على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للإسلام فيقرئهم المسلمون شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم.

وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة، فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل مسمع، ويثبتها في كل قلب، ويزيد الحاضرين في الإفهام والتحذير"[٢].

---

[١] انظر البلاغة القرآنية عند ابن قتيبة ص (٤٠).

[٢] نفسه ص (٤١).

التكرار عند أبي هلال العسكري:

سار أبو هلال العسكري المتوفى عام ٣٩٥هـ على منهج ابن قتيبة في التكرار، ونقل كلامه كما هو مع الاختصار أحياناً وليس له من إضافة تذكر سوى استشهاده لرأيه – في أن التكرار في سورة "الرحمن" لتنوع المتعلق – بشطرين من الشعر تكرر كل منهما في القصيدة التي ورد فيها مرات كثيرة أحدهما قول مهلهل:

على أن ليس عِدْلا من كليب

والاخر قول الحارث بن عُباد:

قرِّبا مَرْبطَ النَّعامة مِنِّي

فرأى أن تكرار هذين الشطرين للغرض نفسه وهو تنوع المتعلق، وأضاف أيضاً شيئاً آخر وهو جعله التكرار صورة من صور الإطناب في الكلام(١).

وقد علل أبو هلال العسكري إكثار القرآن من التكرار وهو يخاطب بني إسرائيل بأنهم قوم لا سليقة لهم كالعرب، وليسوا مثلهم في البلاغة والبيان. "وقلَّ ما تجد قصة لبني إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع معادة لبعد فهمهم وتأخر معرفتهم"(٢).

التكرار عند أحمد بن فارس

تأثر ابن فارس المتوفى عام ٣٩٥هـ في دراسته للتكرار بابن قتيبة، وهذا واضح في حديثه عنه،

---

(١) أنظر تأويل مشكل القرآن ص (٢٣٩) والبحث البلاغي عند العرب ص(١٧٢).

(٢) الصناعتين ص (١٨٤).

يقول ابن فارس "ومن سنن العرب التكرير والإعادة إرادة الإبلاغ بحسب العناية بالأمر كما قال الحارث بن عباد:

قرِّبا مَرْبطَ النَّعامة منِّي

فكرَّر قَرِّبا مَرْبط النعامة في أبيات كثيرة عناية بالأمر وأراد الإبلاغ في التنبيه والتحذير، وكقول الآخر:

"كَمْ نعمةٍ كانت لكُمْ كَمْ كَمْ وكَمْ"

فكرر لفظ "كم.. لفرط العناية بقصد تكثير العدد.

قال علماؤنا فعلى هذه السنة جاء ما جاء في كتاب الله من قوله "من سورة الرحمن": ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾"[١].

وأيضا يرى ابن فارس رأي ابن قتيبة في حكمة تكرير الأنباء والقصص في كتاب الله – جلَّ ثناؤه– وهو : أن الله – جلَّ ثناؤه – جعل هذا القرآن معجز القوم عن الإتيان بمثله – آية لصحة نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – فقال: "فأما عن تكرير الأنباء والقصص في كتاب الله فقد قيلت فيه وجوه، وأصح ما يقال فيه إن الله جعل هذا القرآن معجز القوم عن الإتيان بمثله آية لصحة نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – ثم بيَّن وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرَّر القصة في مواضع إعلاماً أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء، وبأي عبارة، فهذا أولى ما قيل في هذا الباب"[٢].

---

[١] الصاحبي ص (١٧٧).

[٢] نفسه ص (١٧٨).

التكرار عند الشريف المرتضى:

تحدث الشريف المرتضى المتوفى عام(٤٣٦)هـ عن التكرار وكان واضح التأثر – أيضا – بابن قتيبة في كثير من آرائه.

قال الشريف المرتضى: "إن سأل سائل فقال: ما وجه التكرار في سورة "الكافرون"، وما الذي حسّن إعادة النص لكونه عابداً ما يعبدون، وكونهم عابدين ما يعبد، وذكر ذلك مرة واحدة يغني، وما وجه التكرار أيضاً في سورة "الرحمن" لقوله تعالى: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ ..... فأجاب المرتضى عن هذا فقال: ".....الجواب يقال له: قد ذكر ابن قتيبة في معنى التكرار في سورة "الكافرون" وجهاً، وهو أن قال: القرآن لم ينزل دفعة واحدة، وإنما كان نزوله شيئاً بعد شيء، والأمر في ذلك واضح ظاهر، فكأن المشركين أتوا النبي –صلى الله عليه وسلم– فقالوا له استلم بعض أصنامنا حتى نؤمن بك ونصدق بنبوتك، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم: ﴿لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ ثم غبروا مدة من الزمان وجاءوه فقالوا: اعبد بعض آلهتنا، واستلم بعض أصنامنا يوماً أو شهراً أو حولاً: لنفعل مثل ذلك بإلهك، فأمره الله تعالى بأن يقول لهم: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أي إن كنتم لا تعبدون إلهي إلا بهذا الشرط فإنكم لا تعبدونه أبداً"[١].

وقد دافع عن هذا الرأي الذي نقله عن ابن قتيبة فقال: وقد طعن بعض الناس على هذا التأويل بأن قال: إنه يقتضي شرطاً وحذفاً لا يدل عليه ظاهر الكلام وهو شرطه في قوله: ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ وإذا كان ما نفاه عن نفسه من

---

[١] أمالي المرتضى جـ ١ ص (١٢٠) .

عبادته ما يعبدون مطلقاً غير مشروط، وكذلك ما عطف عليه" ثم يقول المرتضى رداً على هذا الطعن: "وهذا الطعن غير صحيح لأنه لا يمتنع إثبات شرط بدليل، وإن لم يكن في ظاهر الكلام: ولا يمتنع عطف المشروط على المطلق بحسب قيام الدلالة"[١].

ثم بين بلاغة التكرار في سورة الرحمن لقوله تعالى: :﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ فقال: فأما التكرار في سورة الرحمن فإنما حسن للتقرير بالنعم المختلفة المعددة، فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها، كما يقول الرجل لغيره ألم أحسن إليك بأن خولتك الأموال ! ألم أحسن إليك بأن فعلت كذا وكذا ! فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرر به وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم"[٢].

التكرار عند ابن رشيق

اهتم ابن رشيق المتوفى عام (٤٥٦)هـ بالتكرار اهتماماً كبيراً أكثر من سابقيه فأفرد له باباً كاملاً في كتابه "العمدة" سمّاه "باب التكرار"[٣] وكان جُلُّ اهتمامه فيه بالشعر، أما حديثه عن القرآن فكان قليلا، وذلك يعود إلى موضوع كتابه "العمدة" حيث وقفه على دراسة الشعر وآدابه ونقده، وإن كان لم يتناول كل أنماط التكرار في الشعر العربي حتى عصره، بل قصر كلامه على نمط واحد وهو تكرار الاسم علماً كان أم غير علم، ولم يذكر تكرار الجملة أو العبارة التي تتألف من أكثر من جملة ثم تحدث عن دلالات تكرار الاسم وتنوعها تبعاً لتعدد

(١) انظر البلاغة القرآنية عند ابن قتيبة ص (١٧٥).

(٢) أمالي المرتضى جـ ١ ص (١٢٣) .

(٣) العمدة جـ٢ ص (٧٣ – ٧٨).

المواقف فرأى أن الشاعر يكرر اسماً معينا، إما على سبيل التشوق والاستعذاب، إذا كان المقام مقام نسيب كقول إمرئ القيس:

دِيارٌ لسـلمى عافياتٌ بذي الخال

ألحَّ عليـها كـل أسـحم هـطال

وتحسب سـلمى لا تزال كعهدنا

بوادي الخُزامى أو على رأس أو عال

وتحسب سـلمى لا تزال ترى طلاً

من الوحش أو بيْـضا بميثاءَ مُحْلال

ليالي سـلمى إذ تريك منـضَّدا

وجيداً كجيد الرئم ليـس بمعـطال

أو يكون تكرار الاسم للتنويه بصاحبه والإشادة بذكره، إن كان المقام مقام مـدح كقول القائل:

ولائمةٍ لامـتْكَ يا فيـض في الندى

فقلت لها: هل يقـدح اللوم في البحر

أرادت لِتَثْنِي الفيضَ عن عادة الندى

ومن ذا الذي يَثْني السحاب عن القطر

كأنّ وفـود الفيـض يـوم تحمـلوا

إلى الفيض لاَقَـوْا عنده ليـلة القدر

مواقع جـود الفيـض في كل بـلدة

مواقع ماء المـزن في البـلد القفـر

فكرر الشاعر اسم الممدوح تنويهاً به، وإشادة بذكره، وتفخيماً له.

وقد يكون تكرار الاسم على سبيل التقرير والتوبيخ كقول الشاعر:

إلى كَمْ وكَمْ أشياء مني تريبني أغمض عنها لست عنها بذي عمى

أو قد يكون تكرار الاسم على سبيل التعظيم للمحكي عنه، أو الوعيد والتهديد إذا كان المقام مقام عتاب موجع أو قد يكون على سبيل الحزن والتوجع في مقام الرثاء والتأبين، أو التشهير وشدة التوضيع في مقام الهجاء.

وقد ذكر شواهد للتكرار المعيب منها أبيات لابن الزيات يقول فيها:

أتعزف أم تُقيم على التصابي فقد كثرت مُناقلة العتاب

إذا ذكر السُّلُوُّ عن التصابي نفرْتَ من اسمهِ نَفْرَ الصعاب

وكيف يُلام مِثْلك في التصابي وأنت فتى المجانة والشباب؟!!

سأعزف إن عزفت على التصابي إذا ما لاح شيء بالغراب

ألم ترني عدَلت عن التصابي فأغرتني الملامة بالتصابي؟!!

وكان تعليق ابن رشيق عليها بقوله: "فملأ الدنيا بالتصابي لعنه الله من أجله فقد برد به الشعر، ولاسيما وقد جاء به كله على معنى واحد من الوزن، لم يَعْدُ به عروض البيت" فجعل ابن رشيق إكثار الشاعر من ترديد كلمة "التصابي" بالإضافة إلى وقوعها في موضع واحد في كل الأبيات هما السبب في استهجان التكرار، والحكم عليه بأنه معيب.

إلا أن الدكتور شفيع السيد رأى أن هذا التعليل لا يمس النقطة الحساسة في الموضوع، فقال: "وأحسب أن هذا التعليل لا يمس النقطة الحساسة في الموضوع، وأننا نقترب كثيراً من روح الفن حين نقول إن منشأ ثقل التكرار هنا هو فقدان الكلمة المكررة لأية دلالة شعورية خاصة يستجيب لها وجدان المتلقي،

ويتجاوب بها مع إحساس الشاعر، وسواء بعد ذلك أقل تكرار الكلمة أم كثر، وإن كان الإكثار يزيد من الإحساس بثقلها وبرودتها"[١].

وأيضاً قسَّم ابن رشيق التكرار إلى تكرار يقع في الألفاظ دون المعاني وهو كثير، وتكرار يقع في المعاني دون الألفاظ وهو أقل من الأول، وتكرار يقع في الألفاظ والمعاني جميعاً وعاب على هذا النوع.

فالتكرار الذي يقع في الألفاظ دون المعاني لا يندرج تحت التكرار بمفهومه المتعارف عليه بين علماء اللغة وأهل البلاغة، وإنما يندرج تحت مسمى آخر وهو الجناس؛ إلا أن ابن رشيق خلط بين هذا النوع والتكرار وإن كان لم يذكر له شاهداً.

ومن الذين خلطوا بين التكرار وأنواع أخرى السجلماسي[٢] فقد خلط بينه وبين أقسام كثيرة من فنون البلاغة كالمشاكلة والجناس والموازنة - نوع من أنواع السجع عند المتأخرين- والاشتراك والاشتقاق والترصيع، وكذلك أدخل في التكرير المعنوي إيراد الملائم والنقيض والانجرار والتناسب، وذلك لأنه قسَّم التكرار كتقسيم ابن رشيق له، ومن ثم وسَّع دائرة التكرار وجعله يشمل أنواعاً كثيرة من فنون البلاغة.

أما تكرار المعاني دون الألفاظ فقد مثَّل ابن رشيق له بقول إمرئ القيس:

فيالك من ليل كأن نجومه ... بكل مُغار الفتل شدت بيذبُل

كأن الثريا عُلّقت في مصامها ... بأمراس كتان إلى صُمَّ جندل

---

[١] انظر: البحث البلاغي عند العرب ص (١٧٤-١٧٥).

(٢) المنزع البديع للسجلماسي ص (٤٧٦)وما بعدها.

فقد رأى ابن رشيق أن البيت الأول يغني عن الثاني، والثاني يغني عن الأول، ومعناهما واحد؛ لأن النجوم تشتمل على الثريا، كما أن "يذبل" (جبل في نجد) يشتمل على صم الجندل (الصلب من الصخور)، وقوله: "شدت" مثل قوله: علقت بأمراس كتان.

وقد ذهب العلامة محمود شاكر إلى أن كلا البيتين يختلف عن الآخر وأن امرأ القيس رمى في البيت الأول إلى غير ما رمى في الثاني.

كذلك الدكتور شفيع السيد رأى أن المعنى خاصة في الشعر وما كان على شاكلته من فنون القول لا يتكرر بحذافيره دون تكرار اللفظ، اللهم إذا كان المراد بالمعنى حينئذ المعنى في أصله المجرد، أو الغرض من الكلام، فذلك الذي يصدق عليه أنه يأتي مكرراً دون أن يكون اللفظ الدال عليه مكرراً، أما إذا أريد بالمعنى كل ما يحمله الكلام من دلالات معجمية أصلية، وأخرى هامشية، وما يشيعه من إيحاءات بحكم السياق، والبناء اللغوي للعبارة، فلا يمكن أن يتكرر دون تكرار اللفظ الذي يعبر عنه(١).

وأما تكرار اللفظ والمعنى جميعا فقد قال عنه ابن رشيق ما يدعو للدهشة والاستغراب؛ لأنه وصفه بأنه الخذلان بعينه، فقال: "وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه"(٢).

---

(١) انظر: البحث البلاغي عند العرب ص (١٧٥) وما بعدها.

(٢) انظر: العمدة ص (٧٣) وما بعدها .

والداعي للدهشة هنا في كلام ابن رشيق كون هذا النوع من التكرار هو المتعارف عليه بين علماء اللغة وأهل البلاغة، وقد ورد كثيراً في القرآن الكريم، كما ورد في الشعر العربي، وإن كان قد ورد في غير القرآن الكريم غيرَ دالٍّ على بلاغة أو سرٍّ بياني، فكان عبثاً على السياق، فليس معنى هذا أن يطلق عليه هذا الحكم هكذا مطلقاً.

التكرار عند جار الله الزمخشري:

وقف الزمخشري المتوفى عام (٥٣٨) هـ عند كثير من صور التكرار موضحاً أثره البلاغي في مواقعه المختلفة، فقد أشار إلى التكرار في مقام الوعظ والنصيحة، وفي مقام دفع الشبهة، وفي القصص ومقام الوعيد،وفي مواقف الكف والنهي، وفي ذكر مظاهر القدرة وغير ذلك[١].

يبين الزمخشري فائدة التكرير في أسلوب النداء في قوله تعالى "من سورة الحجرات": ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ ، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم.....﴾ فيقول: إعادة النداء عليهم استدعاء منهم لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وطريقة الإنصات لكل حكم نازل، وتحريك منهم لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم، وما أخذوا به، عند حضور مجلس رسول الله – صلى الله عليه وسلم– من الأدب الذي المحافظة عليه تعود عليهم بعظيم الجدوى في دينهم"[٢].

---

[١] انظر: البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري د/ محمد أبو موسى ص (٤٤٨) .

[٢] الكشاف جـ ٤ ص (٢٧٩) والبلاغة القرآنية ص (٤٤٨).

ويقول – أيضا – في تكرار النداء في سورة غافر في قوله تعالى: ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ ، ﴿ويا قوم مالي ادعوكم إلى النجاة.....﴾ : "فإن قلت: لم كرر نداء قومه؟ قلت: أما تكرير النداء ففيه زيادة تنبيه لهم وإيقاظ عن سنة الغفلة، وفيه أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم، ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك ألا يتهموه فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، وينزلوا على نصيحته لهم كما كرر إبراهيم –عليه السلام– في نصيحته أبيه: ﴿يا أبت﴾ ثم يشير إلى فائدة التكرار في الموعظة والنصيحة؛ لأن دفع النفوس إلى الخير وانقيادها له من الأشياء الصعبة التي تحتاج إلى صبر على تكرار الموعظة والنصيحة.

يقول الزمخشري: "فإن قلت: ما فائدة التثنية والتكرير؟ قلت: النفوس أنفر شيء عن حديث الوعظ والنصيحة، فإن لم يكرر عليها عودا على بدء لم يرسخ فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله – صلى الله عليه وسلم– أن يكرر عليهم ما كان يعظ به، وينصح ثلاث مرات وسبعاً، ليركزه في قلوبهم ويغرسه في صدورهم"[١].

ثم يبين موطناً آخر من مواطن التكرير وغرضاً من أغراضه، وهو كون التكرار يجئ فيما هو غريب على النفس فتحتاج إلى مزيد من الاطمئنان والتقرير فيقول الزمخشري في قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿ومن حيث خرجت

---

[١] انظر الكشاف جـ٤ ص (١٣١).

وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك، وما الله بغافل عما تعملون، ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره} "وهذا التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده؛ لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان، والحاجة إلى التفصلة بينه وبين البداء، فكرر عليهم لينبهوا ويعزموا ويجدُّوا".

وأشار أيضاً إلى موضع آخر من مواضع التكرار، حيث يجئ في آيات الوعيد والتهديد متابعة للنفس، وتجديد التذكير لها فيقول: "فإن قلت: ما فائدة تكرير قوله "من سورة القمر" {فكيف كان عذابي ونذر، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} قلت: فائدته أن يجدوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ازدكارًا واتعاظاً، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث، وأن يقرع لهم العصا مرات، ويقعقع لهم الشَّن تارات، لئلا يغلبهم السهو، ولا تستولي عليهم الغفلة، وهذا حكم التكرير كقوله: {فبأي آلاء ربكما تكذبان} عند كل نعمة عدها في سورة الرحمن، وقوله: {ويل يومئذ للمكذبين} عند كل آية أوردها في سورة المرسلات، وكذلك تكرير الأنباء والقصص في أنفسها لتكون تلك العبر حاضرة للقلوب، مصورة للأذهان مذكورة غير منسية في كل أوان"[1].

ويفسر الزمخشري نوعاً من التكرير في القصص القرآني، وهو تكرير أية أو آيتين في كل قصة من قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم كما في سورة الشعراء- حيث تختم كل قصة بقوله تعالى: {إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم}. فيقول الزمخشري: "فإن قلت: كيف كرر في هذه السورة في

(١) نفسه ص (٢٤٩).

في أول كل قصة وآخرها ما كرر؟ قلت: كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تفتتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به، ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتاً لها في الصدور، ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب، وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان، ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق وقلوب غفل عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير، ورجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذنا، أو يفتق ذهناً، أو يصقل عقلاً طال عهده، أو يجلو فهماً قد غطى عليه تراكم الصدأ"[1].

ثم ذكر الزمخشري نوعاً حسناً من التكرير وهو الذي تتكرر فيه الجملة مع اختلاف في صياغتها؛ لأن الاختلاف في الصياغة من عناصر القوة في التكرير كما يقول الزمخشري.

يقول في قوله تعالى "من سورة ص" ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة، أولئك الأحزاب، إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب﴾ : ولقد ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ثم جاء بالجملة الاستئنافية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل؛ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوهم جميعاً، وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً، وبالاستئنافية ثانياً، وما في الاستئنافية

---

[1] الكشاف جـ٣ ص (٢٦٣) .

من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص، أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه"[١].

ثم أشار إلى تكرير العلماء، وهو الذي يضاف فيه مع الكلام تكرير جملة جديدة ذات أهمية في المعنى، يقول في قوله تعالى "من سورة الأعراف" : ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها، قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السماوات والأرض، لا تأتيكم إلا بغتة، يسألونك كأنك حفي عنها" فإن قلت: لم يكرر "يسألونك" وإنما علمها عند الله ؟ قلت: للتأكيد ولما جاء به من زيادة قوله: ﴿كأنك حفي عنها﴾ وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله"[٢].

التكرار عند فخر الدين الرازي

تحدث محمد بن عمر الرازي المتوفى عام (٦٠٦) هـ عن التكرار في الفصل الرابع من خاتمة كتابه (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز) تحت عنوان "في بيان فساد طعنهم في القرآن من جهة التكرار والتطويل"[٣]، وواضح في كلامه أنه جعل التكرار مثل التطويل أو منه، فحاول أن ينفيه عن القرآن؛ لأنه – في نظره– عيب ونقيصة.

يقول في معرض حديثه عن تكرار أنباء وقصص الرسل: "اعلم: أن عادة الفصحاء جارية بأنهم يكررون القصة الواحدة في مواضع مختلفة لأغراض

---

[١] نفسه جـ٤ ص (٥٩).

(٢) نفسه جـ٢ ص (٤٥).

(٣) نهاية الإيجاز ص (٢٨٠) وما بعدها .

مختلفة تتحدد في المواضع، وذلك من الفضائل لا من المعائب، وإنما يعاب التكرار إذا كان في الموضع الواحد، والله تعالى إنما أنزل القرآن على رسوله في ثلاث وعشرين سنة، حالاً بعد حال، وقد علم من حاله أنه كان يضيق صدره لما يناله من الكفار، فكان تعالى يسلّيه بما ينزل عليه من أقاصيص مَنْ تقدم من الأنبياء، ويعيد ذكره بحسب ما يعلمه من الصلاح ولهذا قال سبحانه "من سورة هود": ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل، ما نثبت به فؤادك﴾.

وأيضا: فلأن ظهور الفصاحة ومزيتها في القصة الواحدة، إذا أعيدت يكون أبلغ منها في القصص المتغايرة، وهذه هي الفائدة فيما تكرر من كتاب الله من قصة موسى وفرعون، وسائر الأنبياء".

وعمَّا تكرر في سورة الرحمن يقول: "وأما ما تكرر في سورة الرحمن من قوله: ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ ؟ فليس بتكرار؛ لأنه سبحانه ذكر نعمة بعد نعمة، وعقّب كل نعمة بهذا القول، وإنما عني بالتثنية: الجن والأنس، ومعلوم: أن الغرض من ذكره عقيب نعمة، هو غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى وإن كان اللفظ واحداً"[1].

ثم قال: "وأما ما ذكره تعالى في إعادة قوله﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ "في سورة المرسلات قال: إنه ذكر ذلك عند قصص مختلفة فلم يُعد تكراراً؛ لأنه أراد بما ذكره أولاً، ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ بهذه القصة، ثم لما أعاد قصة أخرى ذكر مثله على هذا الحد، ولما اختلفت الفائدة خرج عن أن يكون تكراراً".

---

[1] نفسه ص (٢٨٠).

وكذلك نفى أن يكون في سورة "الكافرون" تكرار، فقال: "وأما سورة الكافرين، فليس فيها تكرار؛ لأن المراد به {لا أعبد ما تعبدون} اليوم، والمراد بقوله {ولا أنتم عابدون ما أعبد}: أنكم غير عابدين لما أعبد اليوم، وأراد بقوله: {ولا أنا عابد ما عبدتم} أي غير عابد ما عبدتموه فيما سلف؛ لأنهم كانوا يعبدون في المستقبل من الحجارة والأوثان غير ما عبدوه من قبل، وعنى بقوله: {ولا أنتم عابدون ما أعبد} هو أنكم لا تعبدون ما أعبده اليوم، وإنما أنزل - تعالى- ذلك؛ لأن قوماً من الكفار قالوا لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- اعبد ما نعبد نحن اليوم سنة، حتى نعبد ما تعبده أنت اليوم سنة، وهكذا في كل سنة حتى نشترك في العبادة على هذا السبيل، فأنزل الله هذه السورة جواباً.

ولا يصح في الخطاب إذا قصدت هذا الوجه، إلا أن تورد هذا على الحد المذكور، وليس المعتبر هو بتكرار اللفظ، لأنا نعلم: أن الحروف والكلمات متكررة في كل الكلام، وإنما المعتبر هو الأغراض والمقاصد فربما كان المشتبه في اللفظ غير مكرر في المعنى، وربما كان المتباين في اللفظ متكرراً في المعنى"[1].

التكرار عند ابن الأثير:

يعد كتاب "المثل السائر" الذي ألفه ابن الأثير المتوفى عام (٦٣٧)هـ من أعظم الكتب التي تناولت المسائل البلاغية والنقدية بعد عصر الزمخشري، حيث عالج صاحبه فيه كثيراً من القضايا البلاغية بروح أدبية متذوقة خالف بها الفخر الرازي والسكاكي والخطيب القزويني وشراحهما.

---

[1] نفسه ص (٢٨٢).

ومن المسائل البلاغية التي عالجها ابن الأثير في كتابه المثل السائر التكرار، متأثراً في ذلك بالزمخشري في بعض الصور والتحليلات، وإن كان قد خالفه في عد بعضها من التكرار، فمن ذلك قوله تعالى "في سورة الأنفال": {وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون} .

فالزمخشري يرى أن هذا ليس من التكرار فيقول: "فإن قلت: أليس هذا تكراراً؟ قلت: لا ؛ لأن المعنيين متباينان، وذلك أن الأول {ويريد الله أن يحق الحق بكلماته} تمييز بين الإرادتين، وهذا {ليحق الحق} بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرهم لهم ونصرتهم عليها، وأنه ما نصرهم ولا خذل أولئك إلا لهذا الغرض الذي هو سيد الأغراض"[1].

ويرى ابن الأثير أن هذا من التكرار في اللفظ والمعنى وإن اختلف الغرض ثم يأخذ تحليل الزمخشري وينكر فهمه لهذا النص فيقول: "هذا تكرير في اللفظ والمعنى وهو قوله {يحق الحق} و{ليحق الحق} وإنما جئ به ههنا لاختلاف المراد وذلك أن الأول تمييز بين الإرادتين، والثاني بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها، وأنه ما نصرهم وخذل أولئك إلا لهذا الغرض".

---

[1] البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص (٦٧٣) نقلاً عن الكشاف جـ٢ ص (١٥٦).

وكذلك يقول ابن الأثير في قوله تعالى "من سورة الزمر" ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين، وأمرت لأن أكون أول المسلمين، قل إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم، قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾ .

يقول: "فكرر قوله تعالى: ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾، وقوله ﴿قل الله أعبد مخلصاً له ديني﴾ . والمراد به غرضان مختلفان وذلك أن الأول إخبار بأنه مأمور من جهة الله بالعبادة له والإخلاص في دينه، والثاني إخبار بأنه يخص الله وحده دون غيره بعبادته مخلصاً له دينه، ولدلالته على ذلك قدم المعبود على فعل العبادة في الثاني وأخره في الأول؛ لأن الكلام واقع في الفعل نفسه وإيجاده، وثانياً فيمن يفعل الفعل من أجله ولذلك رتب عليه ﴿فاعبدوا ما شئتم من دونه﴾ .

ثم يذكر ابن الأثير نوعاً آخر من التكرار وصفه بأنه حسن غامض، وهذا ما أشار إليه الزمخشري ووصفه- أيضاً- بأنه نمط حسن من التكرار، وهو ما تختلف فيه ضروب الصنعة في الجملة المكررة.

يقول ابن الأثير في قوله تعالى "من سورة ص": ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد، وثمود وقوم لوط، وأصحاب الأيكة، أولئك الأحزاب، إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب﴾ .

يقول: "وإنما كرر تكذيبهم ههنا ؛ لأنه لم يأت على أسلوب واحد بل تنوع فيه بضروب من الصنعة، فذكره أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام، ثم جاء بالجملة الاستئنافية فأوضحه بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل؛ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوا جميعهم، وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه، والتنوع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً، وبالاستئنافية ثانياً، وما في

الاستثناء من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العذاب وأبلغه، وهذا باب من تكرير اللفظ والمعنى حسن غامض وبه تعرف مواقع التكرير، والفرق بينه وبين غيره فافهمه إن شاء الله تعالى"[١].

وأيضاً يحلل ابن الأثير التكرير في سورتي القمر والرحمن فيقول في قوله تعالى من سورة القمر {فذوقوا عذابي ونذر، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} " وفائدته أن يجددوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ادكاراً وإيقاظاً، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث إليه، وأن تقرع لهم العصا مرات، لئلا يغلبهم السهو وتستولي عليهم الغفلة وهذا حكم التكرير في قوله تعالى "في سورة الرحمن" {فبأي آلاء ربكما تكذبان} وذلك عند كل نعمة عدها على عباده"[٢].

ونلاحظ أن ابن الأثير متأثر - أيضاً- في تحليله هنا بالزمخشري وكذلك نجده متأثراً-أيضاً- بالزمخشري في بيان فائدة التكرير في آيات سورة غافر وهي قوله تعالى: {وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وأن الآخرة هي دار القرار} .

يقول ابن الأثير: "فإنه إنما كرر نداء قومه ههنا لزيادة التنبيه لهم والإيقاظ من سنة الغفلة ولأنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم من الضلال وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة فهو يتحزن لهم ويتلطف بهم ويستدعي بذلك ألا يتهموه فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، وأن ينزلوا على نصيحته لهم،

---

[١] انظر: المثل السائر جـ٣ ص (٩) .

[٢] نفسه ص (١٩، ٢٠) .

وهذا من التكرير الذي هو أبلغ من الإيجاز وأشد موقعاً فاعرفه إن شاء الله تعالى"[١].

التكرار عند الخطيب القزويني:

ثم تحدث عن التكرار الخطيب القزويني المتوفى عام ٧٣٩هـ في كتابه "الإيضاح"، وعدَّه صورة من صور الإطناب كما فعل أبو هلال العسكري، واستشهد بما استشهد به من آيات قرآنية، ثم أضاف غرضين آخرين على ما ذكره أبو هلال من أغراض للتكرار.

يقول الخطيب[٢]: "وإما بالتكرير -أي الإطناب يكون بالتكرير- لنكتة كتأكيد الإنذار في قوله تعالى "من سورة التكاثر" ﴿كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون﴾ وفي - ثم - دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول".

ولا يخفي تأثر الخطيب القزويني بالزمخشري في تحليله للتكرار في هذه السورة فقد قال الزمخشري في تعليقه على هذين الآيتين[٣]: "والتكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم، و(ثم) دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول للمنصوح: أقول لك، ثم أقول لك لا تفعل.....، وكرره معطوفاً بثم تغليظاً في التهديد وزيادة في التهويل" ، ويقول الشيخ عبد المتعال الصعيدي معلقاً على هذا: ".....الزمخشري جعله تأسيساً لا تأكيداً ليصحَّ عطفه على ما قبله ولكن هذا لا يمنع أنه مع مغايرته له يفيد تأكيده؛ لأنه يكفي فيه التكرير في اللفظ، والتغاير

---

[١] نفسه ص (١٩) .

[٢] بغية الإيضاح جـ ٢ ص (١٣٦) .

[٣] الكشاف جـ٤ ص (٢٨٠) .

بينهما ليس إلا بأن الثاني أبلغ في الإنذار، وقد نزل في ذلك بعد المرتبة منزلة بعد الزمان واستعملت فيه -ثم- للدلالة على التدرج في الارتقاء"(١).

وقد علق أيضاً على كلام الزمخشري الزركشي فقال: "فالتكرير -عنده- أبلغ من التأكيد؛ لأنه وقع في تكرار التأسيس وهو أبلغ من التاكيد، فإن التأكيد يقرر إرادة معنى الأول وعدم التجوز"(٢).

ثم ذكر الخطيب القزويني غرضاً آخر من أغراض التكرير فقال(٣):

"وكزيادة التنبيه على ما ينفي التهمة ليكمل تلقي الكلام بالقبول في قوله تعالى "من سورة غافر" ﴿ وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ وهذا هو الغرض الأول من الغرضين اللذين زادهما الخطيب على الأغراض التي ذكرها أبو هلال العسكري للتكرار.

والغرض الثاني هو تكرار اللفظ لطول في الكلام حيث يقول الخطيب(٤):"وقد يكرر اللفظ لطول في الكلام، كما في قوله تعالى (من سورة النحل) :﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ وفي قوله تعالى (من سورة النحل أيضا): ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾.

---

(١) انظر الإيضاح في بغية الإيضاح ٢/ ١٣٦ .

(٢) البرهان في علوم القرآن ٣/ ١١ .

(٣) انظر الإيضاح في بغية الإيضاح ٢/ ١٣٦ .

(٤) نفسه ص (١٣٦) .

ثم ذكر الخطيب غرضا آخر -أيضا-للتكرار وهو التكرار الذي يكون لتعدد المتعلق فقال[١]:" وقد يكرر لتعدد المتعلق كما كرره الله تعالى (في سورة الرحمن): ﴿ فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ لأنه تعالى ذكر نعمة بعد نعمة وعقب كل نعمة بهذا القول، ومعلوم أن الغرض من ذكره عقيب نعمة غير الغرض من ذكره عقيب نعمة أخرى فإن قيل قد عقب بهذا القول ما ليس بنعمة كما في قوله ﴿ يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ﴾ ، وقوله ﴿ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون، يطوفون بينها وبين حميم آن ﴾ قلنا: العذاب وجهنم وإن لم يكونا من آلاء الله تعالى فإن ذكرهما ووصفهما على طريق الزجر عن المعاصي والترغيب في الطاعات من آلائه تعالى، ونحو قوله (المرسلات) ﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ لأنه تعالى ذكر قصصاً مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول، فصار كأنه قال عقب كل قصة :ويل يومئذ للمكذبين بهذه القصة".

وتأثر الخطيب في تعليقه على هذه الآيات بمن سبقه من العلماء واضح جلي، وبخاصة الزمخشري الذي تأثر هو – أيضاً- بمن سبقه كابن قتيبة والقاضي عبد الجبار[٢].

---

(١) نفسه ص (١٣٦) .

(٢) انظر: الكشاف جـ٤ ص (٢٤٩) وتأويل مشكل القرآن ص (١٨٥) والمغني جـ١٦ ص (٣٩٨- ٣٩٩).

التكرار عند العلوي:

أشار أمير المؤمنين يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم العلوي اليمني المتوفى (٧٤٩) إلى أن التكرير كان مطعناً من مطاعن مَنْ ضاقت صدورهم، وعميت بصائرهم عن إدراك بلاغة القرآن، فالتكرير في كتاب الله لا يكون إلا لفائدة، أشار إليها العلوي في كتابه "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة، وعلوم حقائق التنزيل" بقوله: "ونحن الآن نعلو ذروة لا يُنال حضيضها في بيان معاني الألفاظ المكررة في لفظها ومعناها، في كتاب الله تعالى، وتظهر أنها مع التكرير أن تكريرها إنما كان لمعان جزلة ومقاصد سنية بمعونة الله تعالى، فمن ذلك قوله تعالى (في سورة الرحمن) {فبأي آلاء ربكما تكذبان} فهذا تكرير من جهة اللفظ والمعنى ووجه ذلك أن الله تعالى إنما أوردها في خطاب الثقلين: الجن والإنس، فكل نعمة يذكرها أو يؤول إلى النعمة فإنه يردفها بقوله: {فبأي آلاء ربكما تكذبان} تقريراً لآلاء وإعظاما لحالها، ومن ذلك في سورة القمر قوله: {ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر} ، {فكيف كان عذابي ونذر} إنما كرره لما يحصل فيه من إيقاظ النفوس بذكر قصص الأولين والاتعاظ بما أصابهم من المثلات، وحلّ بهم من أنواع العقوبات، فيكون بمنزلة قرع العصا لئلا تستولي عليهم الغفلة، ويغلب عليهم الذهول والنسيان وهكذا ما ورد في سورة المرسلات وغيرها"[1].

ويقول عمَّا ورد مكررًا مرتين: "فأما ما كان تكريره مرتين فهو غير خال عن فائدة ظاهرة وهذا كقوله تعالى (من سورة الأنفال): {ويريد الله أن يحق الحق بكلماته} ثم

---

[1] الطراز جـ٢ ص(١٧٧) وما بعدها.

ثم قال بعد ذلك ﴿ ليحق الحق ويبطل الباطل ﴾ فهذا وإن تكرر لفظه ومعناه ،فلا يخلو عن حال لأجله وقع التغاير وذلك من وجهين، أما أولاً: فلأن الأول وارد على جهة الإنشاء، والثاني وارد على جهة الخبر، وأما ثانياً: فلأن الأول وارد في الإرادة، والثاني وارد في الفعل نفسه، ولأن الأول الغرض به إظهار أمر الدين بنصرة الرسول بقتل من ناوأه ولهذا قال بعده: ﴿ ويقطع دابر الكافرين ﴾ ، والغرض بالثاني التمييز بين ما يدعو الرسول إليه من التوحيد وإخلاص العبادة لله وبين أمر الشرك وعبادة الأصنام، ولهذا قال بعده: ﴿ ولو كره المجرمون ﴾[1].

ويلاحظ أن العلوي في دفاعه عن بلاغة القرآن، وتحليله للآيات التي ورد فيها التكرار كان متأثراً بالزمخشري وابن الأثير، بل كان متابعاً لابن الأثير في وجهة نظره حينما اعتبر صوراً من التعبير القرآني من التكرار، تلك الصور التي اختلف فيها الغرض واتحد فيها المعنى واللفظ، مخالفاً بذلك الزمخشري الذي لم يعتبر هذه الصور من التكرار؛ لأنه كان يقظاً في إدراك الفروق بين هذه الصور التي اختلفت أغراضها، من ذلك تلك الآيات التي أوردها العلوي (من سورة الأنفال) ﴿ وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين أنها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون ﴾ .فالزمخشري لم يرَ هنا تكراراً؛ لأن قوله: ﴿ ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ﴾ بيان للفرق بين الإرادتين، وقوله: ﴿ ليحق الحق ﴾ بيان لغرضه فيما فعل سبحانه وهذا الاختلاف في الغرض يخرج الأسلوب من باب التكرير.

---

(١) نفسه جـ٢ ص (١٧٩) وما بعدها.

أما ابن الأثير فعدَّ هذا من التكرار في اللفظ والمعنـــى وإن اختلـــف الغـــرض، وتابعه في ذلك العلوي[١].

[١] انظر الكشاف جـــ٢ ص (١٥٦) والمثل السائر جـــ٣ ص (٥).

التكرار عند السيوطي:

تناول الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي المتوفى عام (٩١١) هـ تناول التكرار في كتابه "الإتقان في علوم القرآن" في فصل بعنوان "في نوعي الإطناب"، حيث جعل الإطناب قسمين، إطنابا بالبسط، وإطناباً بالزيادة، وجعل التكرير من النوع الثاني، فقال في بلاغته[١]: "وهو أبلغ من التأكيد، وهو من محاسن الفصاحة خلافاً لبعض مَنْ غلط".

ثم تحدث عن فوائده في الكلام جامعاً آراء مَنْ سبقه من العلماء، في ذلك، إلا إضافات قليلة من عنده ومناقشات لبعض آراء العلماء في تلك الفوائد.

يقول السيوطي عن فوائد التكرير[٢]:"وله فوائد: منها التقرير، وقد قيل: الكلام إذا تكرر تقرر، وقد نبّه تعالى عن السبب الذي لأجله كرّر الأقاصيص والإنذار في القرآن بقوله: ﴿**وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً**﴾ { طه:١١٣} ومنها التأكيد، ومنها زيادة التنبيه على ما ينفي التهمة، ليكمل تلقي الكلام بالقبول ومنه: ﴿**وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع**﴾ {غافر: ٣٨، ٣٩} فإنه كرر فيه النداء لذلك، ومنها إذا طال الكلام وخُشِيَ تناسي الأول أعيد ثانياً تطريةً له وتجديداً لعهده ومنه ﴿**ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها**﴾ { النحل :١١٩ } .....ومنها التعظيم والتهويل نحو ﴿**الحاقة ما الحاقة**﴾ { الحاقة: ١، ٢ } ..... فإن قلت: هذا النوع أحد أقسام النوع الذي قبله، فإن منها التأكيد بتكرار اللفظ، فلا يحسن عده نوعاً مستقلاً.

---

[١] الإتقان ص (٣٩١).

[٢] نفسه ص (٣٩١) وما بعدها .

قلت: هو يجامعه، ويفارقه، ويزيد عليه، وينقص عنه، فصار أصلاً برأسه، فإنه قد يكون التأكيد تكراراً كما تقدم في أمثلته، وقد لا يكون تكراراً كما تقدم أيضاً، وقد يكون التكرير غير تأكيد صناعة، وإن كان مفيداً لتأكيد معنى، ومنه: ما وقع الفصل بين المكررين، فإن التأكيد لا يفصل بينه وبين مؤكده نحو ﴿اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله﴾ { الحشر: ١٨ } ﴿إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ { آل عمران: ٤٢} فالآيتان من باب التكرير لا التأكيد الصناعي ومنه الآيات المتقدمة في التكرير للطول ومنه ما كان لتعدد المتعلق، بأن يكون المكرر ثانياً متعلقاً بغير ما تعلق به الأول وهذا القسم يسمّى بالترديد كقوله ﴿الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح، المصباح في زجاجة، الزجاجة كأنها كوكب دري﴾ { النور: ٣٥ } وقع فيها الترديد أربع مرات، وجعل منه قوله ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ { الرحمن: ١٣، ١٦، ١٨ } فإنها تكررت نيّفاً وثلاثين مرة، فكل واحدة تتعلق بما قبلها، ولذلك زادت على ثلاثة، ولو كان الجميع عائداً إلى شيء واحد لما زاد على ثلاثة، لأن التأكيد لا يزيد عليها، قاله ابن عبد السلام وغيره، وإن كان بعضها ليس بنعمة فذكر النقمة للتحذير نعمة، وقد سئل: أي نعمة في قوله ﴿كل من عليها فان﴾ { الرحمن: ٢٦} ؟ فأجيب بأجوبة، أحسنها، النقل من دار الهموم إلى دار السرور، وإراحة المؤمن والبارّ من الفاجر، وكذا قوله: ﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾ { المرسلات: ١٩، ٢٤ } في سورة المرسلات؛ لأنه تعالى ذكره قصصاً مختلفة وأتبع كل قصة بهذا القول، فكأنه قال عقب كل قصّة: "ويل يومئذ

للمكذب بهذه القصة"، وكذا قوله في سورة الشعراء: ﴿إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ { الشعراء: ٨، ٩، ٦٧، ٦٨، ١٠٣، ١٠٤، ١٢١، ١٢٢، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٤، ١٧٥، ١٩٠، ١٩١} كررت ثماني مرات، كل مره عقب كل قصة، فالإشارة في كل واحدة بذلك إلى قصة النبي المذكور قبلها، وما اشتملت عليه من الآيات والعبر، وبقوله: ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ إلى قومه خاصة، ولمَّا كان مفهومه أن الأقل من قومه آمنوا، أتى بوصفي العزيز الرحيم للإشارة إلى أن العزة على من لم يؤمن منهم، والرحمة لمن آمن وكذا قوله في سورة القمر ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ {القمر:١٧ } قال الزمخشري: كرّر ليجدوا عند سماع كل نبأ منها اتعاظاً وتنبيهاً، وإن كلاً من تلك الأنباء مستحق لاعتبار يختص به، وأن ينبهوا كيلا يغلبهم السرور والغفلة.

قال في عروس الأفراح: فإن قلت: إذا كان المراد بكل ما قبله، فليس ذلك بإطناب، بل هي ألفاظ، كلٌ أريد به غير ما أريد بالآخر. قلت: إذا قلنا العبرة بعموم اللفظ، فكل واحد أريد به ما أريد بالأخر، ولكن كُرّر ليكون نصّاً فيما يليه وظاهراً في غيره، فإن قلت: يلزم التأكيد، قلت: والأمر كذلك، ولا يرد عليه أن التأكيد لا يزداد به عن ثلاثة، لأن ذاك في التأكيد الذي هو تابع، أما ذكر الشيء في مقامات متعددة أكثر من ثلاثة فلا يمتنع. انتهى" .

وقد خالف السيوطي مَنْ رأى في سورة "الكافرون" تكراراً فقال[١]:

"ومن أمثلة ما يُظَنُّ تكراراً، وليس منه ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾ { الكافرون:١، ٢ } إلى آخرها ، فإن ﴿ لا أعبد ما تعبدون﴾ أي في المستقبل، ﴿ولا أنتم عابدون﴾ أي في الحال ﴿ما أعبد﴾ في المستقبل ﴿ولا أنا عابد﴾ أي في الحال ﴿ما عبدتم﴾ في الماضي ﴿ولا أنتم عابدون﴾ في المستقبل ﴿ما أعبد﴾ أي في الحال .فالحاصل أن القصد نفي عبادته لآلهتهم في الأزمنة الثلاثة".

فالسيوطي برأيه هذا في هذه السورة متابع لفخر الدين الرازي، ومتأثرٌ به، حيث قال – أي الرازي– : "وأما سورة الكافرين، فليس فيها تكراراً لأن المراد به: ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ اليوم، و المراد بقوله ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أنكم غير عابدين لما أعبد اليوم، وأراد بقوله: ﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾ أي غير عابد ما عبدتموه فيما سلف؛ لأنهم كانوا يعبدون في المستقبل من الحجارة والأوثان غير ما عبدوه من قبل، وعنى بقوله ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ هو أنكم لا تعبدون ما أعبده بعد اليوم.....إلخ"[٢].

ومِّمن خالف السيوطي رأيهم في هذه السورة ابن قتيبة، الذي رأى فيها تكراراً للفظ والمعنى وكان موجباً لتأكيد المعنى وقد سبق أن أشرت إلى هذا في البحث[٣].

---

[١] نفسه ص (٣٩٣) .

[٢] انظر نهاية الإيجاز ص (٢٨٠) والبحث ص (٥).

[٣] انظر: تأويل مشكل القرآن ص (٢٣٧) والبحث ص (٥) .

ومن الأمثلة التي رأى السيوطي – أيضاً– أنها ليست من التكرار، قوله تعالى في سورة البقرة ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم﴾ ، ثم قال ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم﴾ ثم قال ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ .

يقول السيوطي[1]: "فإن المراد بكل واحد من هذه الأذكار غير المراد بالآخر، فالأول الذكر في المزدلفة عند الوقوف بقَزَح، وقوله: ﴿واذكروا الله كما هداكم﴾ إشارة إلى تكرره ثانياً وثالثاً، ويحتمل أن يراد به طواف الإفاضة بدليل تعقيبه بقوله ﴿فإذا قضيتم﴾ والذكر الثالث إشارة إلى رمي جمرة العقبة، والذكر الأخير لرمي أيام التشريق".

ويذكر صورا أخرى للتكرار في سور القرآن فيقول "ومنه تكرير حرف الإضراب قوله ﴿بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر﴾ { الأنبياء:٥} وقوله ﴿بل إدّارك علمهم في الآخرة بل هم في شك منها بل هم عمون﴾ {النمل:٦٦} ومنه قوله: ﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين﴾ {البقرة:٢٣٦} ثم قال: ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾ {البقرة:٢٤١} فكرر الثاني ليعم كل مطلقة، فإن الآية الأولى في المطلقة قبل الفرض والمسيس خاصة، وقيل لأن الأولى لا تشعر بالوجوب، ولهذا لما نزلت قال بعض الصحابة: إن شئت أحسنت، وإن شئت فلا، فنزلت الثانية، أخرجه جرير. ومن ذلك تكرير الأمثال كقوله تعالى ﴿وما يستوي الأعمى والبصير، ولا الظلمات ولا النور، ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الأحياء ولا

---

[1] الإتقان ص (٢٩٣).

الأموات﴾ {فاطر: ١٩- ٢٢} وكذلك ضرب مثل المنافقين أول البقرة بالمستوقد ناراً، ثم ضربه بأصحاب الصَّيِّب قال الزمخشري: والثاني أبلغ من الأول لأنه أدل على فرط الحيرة وشدة الأمر وفظاعته، قال: ولذلك أُخِّر، وهم يتدرجون في نحو هذا من الأهون إلى الأغلظ"[1].

[1] نفسه ص (٣٩٤) .

ثالثاً: من أسرار التكرار في قصص القرآن:

تحدث كثير من العلماء- قديماً وحديثاً - عن أسرار تكرار القصص القرآني وفوائده، وكان من أوائل من نبه إلى هذا الجاحظ- كما قلت سابقاً- فقال[١]: "وقد رأينا الله-عز وجل- ردّد ذكر قصة موسى وهود، وهارون وشعيب، وإبراهيم ولوط، وعاد وثمود، وكذلك ذكر الجنة والنار، وأمور كثيرة؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصنافاً من العجم، وأكثرهم غبي غافل، أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب" فعلّل تكرار القصص القرآني، بكونه يخاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثر هؤلاء غبي غافل لا يفهم إلا بالتكرار، أو معاند مشغول الفكر، ساهي القلب يحتاج إلى تذكير دائم، وترداد مستمر.

وأشار الجاحظ إلى شيء آخر كان سبباً من أسباب تكرار القصص القرآني، وهو أن القرآن في خطابه لبني إسرائيل يكثر من التكرار فقال: "ورأينا الله تبارك وتعالى إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مخرج الإشارة والوحي والحذف وإذا خاطب بني إسرائيل أو حكي عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام".

وقد علّل أبو هلال العسكري ذلك بأنهم قوم لا سليقة لهم كالعرب وليسوا مثلهم في البلاغة والبيان فقال: "وقلَّ ما تجد قصة لبني إسرائيل في القرآن إلا مطولة مشروحة ومكررة في مواضع معادة لبعد فهمهم وتأخر معرفتهم"[٢].

إلا أن بعض العلماء رفض هذا التعليل، في تكرار القصص القرآني إذا كان مخاطباً بني إسرائيل، فمثلاً مصطفى صادق الرافعي، رأى عكس هذا الرأي، وردَّ على مَنْ لم يدرك وجه الحكمة في ذلك فقال:

---

(١) انظر: البيان والتبيين جـ١ ص(١٠٤) والبحث ص (١٠) .

(٢) انظر البحث ص (٣) .

"إنهم أخطأوا وجه الحكمة فيه- أي في التكرار- فإن اليهود لم يكونوا من الغلظة والجفاء .....بحيث وصفوهم أو بحيث يجوز ذلك في صفتهم، وإن فيهم المتكلمين وإن منهم الشعراء.....والخطاب في القرآن كله يسمعه العرب واليهود جميعاً فلا هؤلاء ينكرون من أمره ولا أولئك، ونحن فما ندري كيف نبلغ في صفة هذا الوجه المعجز الذي غاب عن العرب ولم يدركه إلا المقصودون به وهو الذين وصفوهم بتأخر المعرفة وبلادة الذهن وهم أحبار اليهود ورؤساؤهم وأهل العلم فيهم، وما يمكن أن يهتدي إلى هذا الوجه بليغ عربي من بلغاء ذلك العهد إلا بوحي وتوقيف من الله.

فإنه في الحقيقة سر من أسرار الأدب العبراني جرى القرآن عليه في أكثر خطابهم ليعلموا أنه وضع غير إنساني وليحسوا معنى من معاني إعجازه فيما هم بسبيله كما أحسَّ العرب فيما هو من أمرهم إذا كان أبلغ البلاغة في الشعر العبراني القديم أن تجتمع له رشاقة العبارة وحسن المعرض ووضوح اللفظ وفصاحة التركيب، وإبانة المعنى وتكرار الكلام لكل ما يفيد "التكرار" توكيداً ومبالغة وإبانة وتحقيقاً ونحو ذلك، ثم استعمال الترادف في اللفظ والمعنى ومقابلة الأضداد وغيرها مما هو في نفسه تكرار آخر للمحسنات اللفظية، وتحسين التكرار المعنوي"[1].

وأشار- أيضاً- ابن قتيبة إلى تكرير قصص الأنبياء، وبين أسراره وأن الله -عز وجل - أنزل القرآن نجوماً تيسيراً منه على العباد، وتدريجاً لهم إلى كمال دينه، ووعظهم وعظاً بعد وعظ تنبيهاً لهم من سنة الغفلة، وشحذاً لقلوبهم بمتجدد

---

[1] انظر: نشأة الفنون البلاغية د/ حمزة الدمرداش ص (٥٢) نقلا عن إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي.

الموعظة، وأن الله لم يفرض على عباده أن يحفظوا القرآن كله، ولا أن يختموه في التعليم، وإنما أنزله ليعلموا بمحكمه، ويؤمنوا بمتشابهه ويأتمروا بأمره، وينتهوا بزجره، ويحفظوا للصلاة مقدار الطاقة ويقرأوا فيها الميسور.

ثم يقول: "وكانت وفود العرب ترد على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للإسلام فيقرؤهم المسلمون شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص من أطراف الأرض ويلقيها في كل سمع ويبثها في كل قلب ويزيد الحاضرين في الأفهام والتحذير"[1].

أيضاً مِمَّنْ درس التكرار القاضي عبد الجبار، ودافع عن بلاغته، وذكر أن شيخه أبا علي قد أشبع القول فيه في مقدمة التفسير، فذكر أن العادة من الفصحاء جارية بأنهم قد يكررون القصة الواحدة في مواطن متفرقة بألفاظ مختلفة لأغراض تتجدد في المواطن وفي الأحوال وذلك من دلالة المفاخر والفضائل لا من دلالة المعايب في الكلام.

وعن سر تكرار قصص الأنبياء ذكر القاضي رأى شيخه، وهو أن ذلك كان لنزول القرآن مفرقاً على رسول الله- صلى الله عليه وسلم -في ثلاث وعشرين سنة، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يضيق صدره في الأمور العارضة له من الكفار والمعارضين فكان في حاجة إلى تثبيت الفؤاد حالاً فكانت حكايات أخبار المتقدمين تتنزل حسب هذه الأحوال وتتكرر بتكرار المواقف، وثمة فرض

---

[1] انظر: تأويل مشكل القرآن ص (١٨٠) وما بعدها والبحث ص (٨) .

آخر، هو أن يعرف أرباب الفصاحة عند تأمل هذه القصص التي تعاد صياغتها مرة بعد مرة منزلة القرآن من الفصاحة، لأن بلاغة القصص المتكرر أدخل في باب الإعجاز من القصص المتغاير، وثمة غرض ثالث وهو حاجة المسلمين إلى تكرار المواعظ، والقرآن في هذا كالواعظ والخطيب الذي يكرر مواعظه وعبره إيقاظاً للنفوس والتأثير فيها[١].

ويفسر الزمخشري تكرير أية أو آيتين في كل قصة من قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم كما في سورة الشعراء، حيث تختم كل قصة بقوله تعالى ﴿إن في ذلك لآية، وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾ يفسر الزمخشري هذا النوع من التكرير بقوله "فإن قلت: كيف كرر في هذه السورة في أول كل قصة منها كتنزيل برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها، فكانت كل واحدة منها تدلي بحق في أن تتفتح بما افتتحت به صاحبتها، وأن تختتم بما اختتمت به، ولأن في التكرير تقريراً للمعاني في الأنفس وتثبيتاً لها في الصدور، ألا ترى أنه لا طريق إل تحفظ العلوم إلا ترديد ما يراد تحفظه منها، وكلما زاد ترديده كان أمكن له في القلب وأرسخ في الفهم، وأثبت للذكر، وأبعد من النسيان ولأن هذه القصص طرقت بها آذان وقر عن الإنصات للحق وقلوب غفل عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير، ورجعت بالترديد والتكرير لعل ذلك يفتح أذناً، أو يفتق ذهناً، أو يصقل عقلاً طال عهده أو يجلو فهماً قد غطى عليه تراكم الصدأ"[٢].

---

[١] انظر: البلاغة القرآنية د/ محمد أبو موسى ص (١٦٦، ١٦٧) نقلا عن المغني جـ٦ ص (٣٩٧) وما بعدها.

[٢] انظر: الكشاف جـ٣ ص (٢٦٣) والبحث ص (١٣).

وعن أصح ما قيل عن تكرار قصص القرآن وعلاقته بالإعجاز يقول أبو الحسين أحمد بن فارس: "فأما تكرير الأنباء والقصص في كتاب الله فقد قيلت فيه وجوه وأصح ما يقال فيه إن الله جعل هذا القرآن معجز القوم عن الإتيان بمثله آية، لصحة نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم- ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاماً أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء، وبأي عبارة، فهذا أولى ما قيل في هذا الباب"[1].

وقد ذكر الزركشي هذا الرأي في فوائد تكرير القصة في القرآن، وابن قتيبة من قبل.

"ومما ذكره الزركشي أيضاً أنه إذا كرر القصة زاد فيها شيئاً كذكر الحيا في عصا موسى -عليه السلام- وذكرها في موضع آخر ثعباناً لبيان أن ليس كل حية ثعباناً وهذه عادة البلغاء أن يكرر أحدهم في آخر خطبته كلمة لصفة زائدة، ومنها: تسلية قلب النبي -صلى الله عليه وسلم- مما اتفق للأنبياء مثله مع أممهم ومنها: أن إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة لا يخفى ما فيه من الفصاحة، ومنها: أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام، ومنها: أن القصة الواحدة من هذه القصص كقصة موسى مع فرعون - وإن ظن أنها تغاير الأخرى- فقد يوجد في ألفاظ زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وتلك حال المعاني الواقعة بحسب تلك الألفاظ فإن كل واحدة لا بدَّ أن تخالف نظيرتها من نوع معنى زائد فيه لا يوقف عليه إلا منها دون غيرها فكأنه تعالى فرق ذكر ما دار بينهما وجعله أجزاء، ولو جمعت تلك القصص في موضع واحد لأشبهت ما وجد الأمر عليه مع سائر الألفاظ لم يوقع في اللفظ هجنة ولا أحدث ملالا

---

[1] انظر: الصحابي (١٧٨) والبحث ص (٢٥) .

فغاير كلام المخلوقين، وأنه ألبسها زيادة ونقصاناً وتقدماً وتأخيراً ليخرج بـذلك الكلام أن تكون ألفاظه واحدة بأعينها فيكون شيئاً معاداً فنزهه عن ذلـك بهـذه التغييرات، كما أن التغيير في أسلوب القصة يحدث فيها مللاً إلى سـماعها؛ لأن النفوس تحب التنقل في الأشياء المتجددة، ومن ذلك أيضاً: ظهور الأمر العجيب في إخراج صور متباينة في النظم بمعنى واحد لبيان أن ذلك مردود إلى قـدره من لا يلحقه نهاية، ولا يقع على كلامه عدد"[١].

ويقول فخر الدين الرازي في معرض حديثه عن تكرار أنباء وقصص الرسـل: "اعلم: أن عادة الفصحاء جارية بأنهم يكررون القصة الواحدة في مواضع مختلفة لأغراض مختلفة تتجدد في المواضع، وذلك من الفضائل لا من المعائب، وإنما يعاب التكرار إذا كان في الموضع الواحد، والله تعالى إنما أنزل القـرآن علـى رسوله في ثلاث وعشرين سنة، حالاً بعد حال، وقد علم من حاله أنه كان يضيق صدره لما يناله من الكفار، فكان تعالى يسليه بما ينزله عليه من أقاصيص مَـنْ تقدم من الأنبياء، ويعيد ذكره بحسب ما يعلمه من الصلاح، ولهذا قال سـبحانه (من سورة هود) ﴿وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ وأيضا: فلأن ظهور الفصاحة ومزيتها في القصة الواحدة إذا أعيدت يكون أبلغ منها فـي القـصص المتغايرة، وهذه هي الفائدة فيما تكرر من كتاب الله من قصة موسى وفرعـون، وسائر الأنبياء"[٢].

---

[١] انظر: المسائل البلاغية في كتاب الصحابي لابن فارس ص (٧٧) نقلا عن البرهان جـ٣ ص (٢٥- ٢٩) .

[٢] نهاية الإيجاز ص(٢٨٠) وما بعدها والبحث ص (٢٢) .

هذا وقد ذكر الحافظ جلال الدين السيوطي كلام العلماء عن فوائد تكرير قصص الأنبياء فقال[1]: "وقد ألف البَدْر بن جماعة كتاباً سمّاه "المقتنص في ذكر فوائد تكرار القصص" وذكر في تكرير القصص فوائد، منها: أن في كل موضع زيادة شيء لم يذكر في الذي قبله، أو إبدال كلمة بأخرى لنكته، وهذه عادة البلغاء، ومنها:أن الرجل كان يسمع القصة من القرآن، ثم يعود إلى أهله، ثم يهاجر بعده آخرون يحكون ما نزل بعد صدور مَنْ تقدمهم، فلولا تكرار القصص لوقعت قصة موسى إلى قوم وقصة عيسى إلى قوم آخرين، وكذا سائر القصص، فأراد الله اشتراك الجميع فيها، فيكون فيه إفادة لقوم وزيادة تأكيد لآخرين، ومنها أن في إبراز الكلام الواحد في فنون كثيرة وأساليب مختلفة ما لا يخفى من الفصاحة، ومنها أن الدواعي لا تتوفر على نقلها كتوفرها على نقل الأحكام، فلهذا كررت القصص دون الأحكام، ومنها: أنه تعالى أنزل هذا القرآن، وعجز القوم عن الإتيان بمثله، بأي نظم جاءوا، ثم أوضح الأمر في عجزهم، بأن كرر ذكر القصة في مواضع إعلاماً بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاءوا وبأي عبارة عبرَّوا، ومنها: أنه لما تحدَّاهم قال: ﴿**فأتوا بسورة من مثله**﴾ فلو ذكرت القصة في موضع واحد واكتفى بها لقال العربي: إيتونا أنتم بسورة من مثله، فأنزل لها سبحانه وتعالى في تعداد السور دفعاً لحجتهم من كل وجه، ومنها أن القصة لما كررت كان في ألفاظها في كل موضع زيادة ونقصان وتقديم وتأخير، وأتت على أسلوب غير أسلوب الأخرى، فأفاد ذلك ظهور الأمر العجيب في إخراج المعنى الواحد في صور متباينة في النظم،وجذب النفوس إلى سماعها لما

---

[1] الإتقان ص (٣٩٤-٣٩٥) .

جُبلت عليه من حب التنقل في الأشياء المتجددة واستلذاذها بها، وإظهار خاصة القرآن حيث لم يحصل مع تكرير ذلك فيه هُجْنة في اللّفظ، ولا ملل عند سماعه، فباين ذلك كلام المخلوقين".

ثم ذكر علّة عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقا واحداً في موضع واحد دون غيرها من القصص- كما جاء في كتاب البَدْر بن جماعة السابق ذكره ردًا على سؤال السائل- فقال[١]: "وقد سُئِلَ: ما الحكمة في عدم تكرير قصة يوسف وسوقها مساقاً واحداً في موضع واحد دون غيرها من القصص؟ وأجيب بوجوه: أحدها: أن فيها تشبيب النسوة به، وحال امرأة ونسوة افتتنوا بأبدع الناس جمالاً؟ فناسب عدم تكرارها لما فيه من الإغضاء والستر، وقد صحّح الحاكم في مستدركه حديث النهي عن تعليم النساء سورة يوسف. ثانياً: أنها اختصت بحصول الفرَجَ بعد الشدة، بخلاف غيرها من القصص فإن مآلها إلى الوبال كقصة إبليس، وقوم نوح وهود وصالح وغيرهم، فلما اختصت بذلك اتفقت الدواعي على نقلها لخروجها عن سمت القصص. ثالثاً: قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: إنما كرر الله قصص الأنبياء وساق قصة يوسف مساقاً واحداً إشارة إلى عجز العرب كأن النبي- صلى الله عليه وسلم -قال لهم: إن كان من تلقاء نفسي، فافعلوا في قصة يوسف ما فعلت في سائر القصص. قلت: وظهر لي جواب رابع، وهو أن سورة يوسف نزلت بسبب طلب الصحابة أن يقص عليهم، كما رواه الحاكم في مستدركه، فنزلت مبسوطة تامة ليحصل لهم مقصود القصص من استيعاب القصة وترويج النفس بها، والإحاطة بطرفيها، وجواب خامس، وهو أقوى ما يجاب به، أن قصص الأنبياء إنما كررت، لأن

[١] نفسه ص (٣٩٤) .

المقصود بها إفادة إهلاك مَنْ كذبوا رسلهم،والحاجة داعية إلى ذلك لتكرير تكذيب الكفار لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلما كذبوا أنزلت قصة منذرة بحلول العذاب، كما حل على المكذبين، ولهذا قال تعالى في آيات {فقد مضت سنة الأولين} { الأنفال: ٣٨ } {ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن}{ الأنعام:٦} وقصة يوسف لم يُقصد منها ذلك.

وبهذا أيضاً يحصل الجواب عن حكمة عدم تكرير قصة أصحاب الكهف وقصة ذي القرنين وقصة موسى مع الخضر، وقصة الذبيح، فإن قلت: قد تكررت قصة ولادة يحيى وولادة عيسى مرتين، وليست من قبيل ما ذكرت. قلت: الأولى في سورة "كهيعص" وهي مكية، أنزلت خطاباً لأهل مكة، والثانية في سورة "آل عمران" ، وهي مدنية أنزلت خطاباً لليهود ولنصارى نَجْران حين قدموا، ولهذا اتصل بها ذكر المحاجَّة والمباهلة".

وقد ذُكِرَتْ فوائد أخرى لتكرار قصص الأنبياء، منها: "بيان أن الدين كله من عند الله من عهد نوح إلى عهد محمد، وأن المؤمنين كلهم أمة واحدة، والله الواحد رب الجميع، وكثيراً ما وردت قصص عدد من الأنبياء مجتمعة في سورة واحدة، معروضة بطريقة خاصة، لتؤيد هذه الحقيقة. ولما كان هذا غرضاً أساساً في الدعوة، فقد تكرر مجئ هذه القصص على هذا النحو، مع اختلاف في التعبير، لتثبيت هذه الحقيقة، وتوكيدها في النفوس[1]. نضرب لذلك مثلاً ما جاء في سورة الأنبياء. {ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان، وضياءً وذكرى للمتقين، الذين يخشون ربهم بالغيب، وهم من الساعة مشفقون، وهذا ذكر مبارك أنزلناه أفأنتم له منكرون؟

---

[1] انظر التصوير الفني في القرآن سيد قطب ص (١٤٦) وما بعدها .

ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل، وكنا به عالمين، إذ قال لأبيه وقومه: ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، قالوا: وجدنا آباءنا لها عابدين ﴾ إلى قوله: ﴿ وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرين، ونجيناه ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ إلى قوله: ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة، وأنا ربكم فاعبدون ﴾.

"وكان من أغراض القصة بيان أن الدين كله موحد الأساس -فضلاً على أنه كله من عند إله واحد - وتبعاً لهذه كانت ترد قصص كثير من الأنبياء مجتمعة كذلك، مكررة فيها العقيدة الأساسية، وهي الإيمان بالله الواحد على نحو ما جاء "في سورة الأعراف" :

﴿ لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، فقال: يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ ..... إلخ.

﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ ..... إلخ.

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ ..... إلخ.

﴿ وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ ..... إلخ.

فهذا التوحيد لأساس العقيدة، يشترك فيه جميع الأنبياء في جميع الأديان، وترد قصصهم مجتمعة في هذا السياق، لتأكيد ذلك الغرض الخاص".

"وكان من أغراض القصة بيان أن وسائل الأنبياء في الدعوة موحدة، وأن استقبال قومهم لهم متشابه -فضلاً على أن الدين من عند إله واحد، وأنه قائم على أساس واحد - وتبعاً لهذا كانت ترد قصص كثير من الأنبياء مجتمعة أيضاً، مكررة فيها طريقة الدعوة على نحو ما جاء "في سورة هود":

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه: إني لكم نذير مبين، ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم أليم ﴾ إلى قوله ﴿ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجواً قبل هذا، أتنهانا أن نعبد ما يعبد آباؤنا، وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب ﴾ .....إلخ.

"وكان من أغراض القصة بيان الأصل المشترك بين دين محمد ودين إبراهيم بصفة خاصة، ثم أديان بني إسرائيل بصفة عامة، وإبراز أن هذا الاتصال أشد من الاتصال العام بين جميع الأديان. فتكررت الإشارة إلى هذا في قصص إبراهيم وموسى وعيسى:

﴿ إن هذا لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم وموسى ﴾

﴿ أم لم ينبأ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى، ألا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ .....إلخ.

وكان من أغراض القصة بيان أن الله ينصر أنبياءه في النهاية ويهلك المكذبين، وذلك تثبيتاً لمحمد، وتأثيراً في نفوس من يدعوهم إلى الإيمان:

﴿ وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك، وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين ﴾

وتبعاً لهذا الغرض كانت ترد قصص الأنبياء مجتمعة، مختومة بمصارع من كذبوهم، ويتكرر بهذا عرض القصص، كما جاء "في سورة العنكبوت":

﴿ ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، فأخذهم الطوفان وهم ظالمون، فأنجيناه وأصحاب السفينة، وجعلناها آية للعالمين ﴾ ....إلى قوله ﴿ فكلاً أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً، ومنهم من أخذته الصيحة، ومنهم من خسفنا به الأرض، ومنهم من أغرقنا، وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾.

وتلك هي النهاية الواحدة للمكذبين".

"فنشأ عن خضوع القصة لهذه الأغراض أن يعرض شريط الأنبيـاء والرسـل الداعين إلى الإيمان بدين واحد، والإنسانية المكذبة بهذا الدين الواحـد، مـرات متعددة بتعدد هذه الأغراض، وأن ينشئ هذا ظاهرة التكرار في بعض المواضع، ولكن هذا أنشأ جمالاً فنياً من ناحية أخرى، ذلك أن عرض هذا الشريط يخيـل للمتأمل أنه نبي واحد، وأنها إنسانية واحدة، على تطاول الأزمان والآماد: كـل نبي يمر وهو يقول كلمته الهادية، فتكذبه هذه الإنسانية الضالة، ثم يمضي ويجئ تاليه فيقول الكلمة ذاتها ويمضي وهكذا....."[1].

هذه هي رؤية الأستاذ سيد قطب للقصة في القرآن الكريم ومجيئها مكررة، فقـد حاول أن يلتمس لهذا التكرار أسراراً وفوائد على نحو ما مَرَّ في كلامه السابق.

---

[1] نفسه ص (١٧١).

الفصل الثاني

أسرار التكرار البلاغية وفوائده

سبق أن قلنا: إن التكرير فن من الفنون البلاغية نشأ في ظل الدراسات التي دارت حول القرآن الكريم تدافع عنه، وترد طعن الطاعنين، وتزيل شبهة المشككين، وكان التكرير أحد هذه الأشياء التي أثارها هؤلاء الطاعنون في كتاب الله -عز وجل- فكان لزاماً على مَنْ انبرى من العلماء للدفاع عن القرآن أن يدرس هذا الأسلوب، ويبين أسراره، وفوائده ويورد من كلام العرب -شعراً ونثراً- نظيراً له، وقد فعلوا ذلك، على نحو ما ذكرنا في الفصل الأول، وفيما يلي نجمل كثيراً مما قاله العلماء عن أسرار هذا الأسلوب وفوائده.

١- من أسرار تكرير قصص الأنبياء وذكر الجنة والنار وأمور كثيرة في القرآن الكريم، أنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم، وأكثرهم غبي غافل أو معاند مشغول الفكر ساهي القلب، فناسب هذا الصنف منهم التكرار.

٢- القرآن الكريم في خطابه لبني إسرائيل كان يكثر من التكرار وبسط الكلام وزيادته، إما لبعد فهمهم، وتأخر معرفتهم -كما رأى بعض العلماء[١]- وإما لأن التكرار سرٌّ من أسرار الأدب العبراني، والقرآن قد خاطبهم بلغة أدبهم وهذا ما رآه آخرون[٢].

٣- أن التكرار جارٍ على مذهب العرب، وأن الغرض منه قد يكون التوكيد والإفهام، كما وَرَدَ في سورة "الكافرون" فليس هناك موضع أولى بالتكرار للتوكيد من السبب الذي أنزلت فيه هذه السورة، لأن الكفار أرادوا أن يعبد

---

[١] الصناعتين ص (١٨٤) .

[٢] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص (٦٠١).

النبي-صلى الله عليه وسلم- ما يعبدون ليعبدوا ما يعبد، وأبدءوا وأعادوا، فأراد الله -عز وجل- حسم أطماعهم وإكذاب ظنونهم، فأبدأ وأعاد في الجواب[١].

وقال الشاعر:

"كَمْ نعمةٍ كانت لكُمْ كَمْ كَمْ وكَمْ"

فلما أراد الشاعر أن يؤكد كثرة النعم كرَّر لفظة "كم" .

٤- قد يكون التكرير لتعدد المتعلق، كما ورد في سورة الرحمن تكرير قوله تعالى ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾، فقد عدّد الله -عز وجل- في هذه السورة نعماءه وأذكر عباده آلاءه، ونبههم على قدرها وقدرته عليها، ولطفه فيها، وجعلها فاصلة بين كل نعمة ليوضح ما أسداه إليهم منها، فحسن التكرار للتقرير بالنعم المختلفة المتعددة، فكلما ذكر نعمة أنعم بها قرر عليها ووبخ على التكذيب بها، وهذا كثير في كلام العرب وأشعارهم،وقد كرر قاضي العرب الحارث بن عُباد البكري حين اعتزم دخول حرب البسوس:

قرِّبا مَرْبَطِ النعامة مني لقِحت حرب وائل عن حِيال

ثم كرر قوله " قرِّبا مَرْبَطِ النعامة مني" في أبيات كثيرة من القصيدة لما كانت الحاجة إلى تكريرها ماسة، والضرورة إليه داعية لعظم الخطب وشدة وقع الفجيعة[٢].

---

(١) انظر: تأويل مشكل القرآن ص (٢٣٥) وما بعدها والبحث ص (٥) .

(٢) انظر الصناعتين ص (١٨٥) وأمالي المرتضى جـ١ ص (١٢٣) .

إلا أن بعض العلماء -كالباقلاني- يرى أنه لا يوجد تكرار في سورة الرحمن لأنه عدَّد نعماً مختلفة، ثم قال للإنس والجن عقيب كل فصل ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾[١].

٥- أيضاً من أسرار التكرير، ما يكون في تكرير قصص الأنبياء في القرآن الكريم، لأن الله -عز وجل- أنزل القرآن نجوماً تيسيراً منه على العباد وتدريجاً لهم إلى كمال دينه، ووعظهم وعظاً بعد وعظ تنبيهاً من سنة الغفلة، وشحذاً لقلوبهم بمتجدد الموعظة، وأن الله لم يفرض على عبادة أن يحفظوا القرآن كله، ولا أن يختموه في التعليم، وإنما أنزله ليعملوا بمحكمه، ويؤمنوا بمتشابهه، ويأتمروا بأمره، وينتهوا بزجره، ويحفظوا للصلاة مقدار الطاقة ويقرأوا فيها الميسور.

وأيضاً: "كانت وفود العرب ترد على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- للإسلام فيقرؤهم المسلمون شيئاً من القرآن، فيكون ذلك كافياً لهم، وكان يبعث إلى القبائل المتفرقة بالسور المختلفة فلو لم تكن الأنباء والقصص مثناة ومكررة لوقعت قصة موسى إلى قوم، وقصة عيسى إلى قوم، وقصة نوح إلى قوم، وقصة لوط إلى قوم، فأراد الله بلطفه ورحمته أن يشهر هذه القصص في أطراف الأرض ويلقيها في كل قلب ويزيد الحاضرين في الأفهام والتحذير"[٢].

وقد قيل: "إن العادة من الفصحاء جارية بأنهم يكررون القصة الواحدة في مواطن متفرقة بألفاظ مختلفة لأغراض تتجدد في المواطن وفي الأحوال وذلك

---

(١) انظر: نكت الانتصار للباقلاني ص (٢١٥).

(٢) انظر في ذلك تأويل مشكل القرآن ص (١٨٠) وما بعدها .

من دلالة المفاخر والفضائل لا من دلالة المعايب في الكلام"، والقرآن نزل على العرب، فخاطبهم بلغتهم ولسانهم.

كذلك كان في تكرير قصص الأنبياء تسرية لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي كان يضيق صدره في الأمور العارضة له من الكفار والمعارضين، فكان في حاجة إلى تثبيت الفؤاد، والسبيل إلى ذلك هو حكايات أخبار المتقدمين التي تتنزل حسب هذه الأحوال وتتكرر بتكرار المواقف.

وأيضاً في تكرير تلك القصص دعوة لأرباب الفصاحة للتأمل والتدبر في هذه القصص التي تعاد مرة بعد مرة ليعرفوا من خلالها منزلة القرآن من الفصاحة، لأن بلاغة القصص المتكرر أدخل في باب الإعجاز من القصص المتغاير.

وكذلك هناك ثمة غرض آخر لتكرير القصص وهو حاجة المسلمين إلى تكرار المواعظ والقرآن في هذا، كالواعظ والخطيب الذي يكرر مواعظه وعبره إيقاظاً للنفوس والتأثير فيها.

وأيضاً كان في تكرار بعض آيات القرآن في كل قصة من قصص الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم تقرير للمعاني في النفوس وتثبيت لها في الصدور، كما ورد في سورة الشعراء، حيث تختم كل قصة بقوله تعالى: {إن في ذلك لآية، وما كان أكثرهم مؤمنين، وإن ربك لهو العزيز الرحيم".

وقيل -أيضاً- عن سر تكرار القصص "إن الله جعل هذا القرآن معجزاً لقوم عن الإتيان بمثله آية لصحة نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - ثم بين وأوضح الأمر في عجزهم بأن كرر القصة في مواضع إعلاماً أنهم عاجزون عن الإتيان بمثله بأي نظم جاء، وبأي عبارة.

٦- قد يكون التكرير لتأكيد الوعيد والإنذار، كما جاء في قوله تعالى في سورة التكاثر ﴿كلا سوف تعلمون، ثم كلا سوف تعلمون﴾ فكررت الآية للزجر والنهي عن المعاصي والكفر، و "ثم" دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول للمنصوح: أقول لك، ثم أقول لك لا تفعل.....، وكرره معطوفاً بثم للتغليظ في التهديد، وزيادة التهويل"[1].

٧- قد يكون التكرير لطول الكلام خوفاً من نسيانه، وتطرية له، وتجديداً لعهده، كما في قصة يوسف -عليه السلام- ﴿يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ ، ومثل قوله تعالى: ﴿ ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾

وقوله تعالى ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب﴾ .

وقوله تعالى: ﴿ ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾ .

فقد كرر "رأيت" و"إن ربك" و"فلا تحسبنهم" لطول الفصل وإن كان بعض العلماء لا يعد هذا من التكرار، وذلك أنه إذا طال الفصل في الكلام، وكان أوله يفتقر إلى تمام لا يفهم إلا به، فالأولى في باب الفصاحة أن يعاد لفظ الأول مرة ثانية، ليكون مقارناً لتمام الفصل الأول، كي لا يجئ الكلام منثوراً، لاسيما في إن وأخواتها.

---

[1] انظر: نكت الانتصار ص (٢١٥) والكشاف جـ٤ ص (٢٨٠).

فإذا وردت "إن" وكان بين اسمها وخبرها فسحة طويلة من الكلام -فإعادتها أحسن في حكم البلاغة والفصاحة.[١]

٨- قد يكون النداء لتجديد الاستبصار عند كل خطاب وارد، وطريقة الإنصات لكل حكم نازل،مثل تكرير أسلوب النداء في قوله تعالى "في سورة الحجرات": ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله﴾ ، ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم.....﴾ .

وفي تكرير النداء -أيضاً- زيادة تنبيه وإيقاظ عن سنة الغفلة، كما ورد في قوله تعالى من سورة "غافر": ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ ، ﴿ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار.....﴾.

وفيه -أيضاً- تكرار للفظة "قوم" ليدل على أنهم قومه وعشيرته وهم فيما يوبقهم وهو يعلم وجه خلاصهم، ونصيحتهم عليه واجبة، فهو يتحزن لهم، ويتلطف بهم، ويستدعي بذلك ألا يتهموه فإن سرورهم سروره، وغمهم غمه، وينزلوا على نصيحته لهم.

٩- أيضاً يجئ التكرير فيما هو غريب على النفس فتحتاج إلى مزيد من الاطمئنان والتقرير مثل قوله تعالى من سورة البقرة: ﴿ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وإنه للحق من ربك، وما الله بغافل عما تعملون، ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره﴾ "فجاء التكرير لتأكيد أمر القبلة وتشديده؛ لأن النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان.

---

[١] المثل السائر ص (٢٣٧).

١٠- قد يجيء التكرير في مقام الوعيد والتهديد، متابعة للنفس، وتجديد التذكير لها مثل قوله تعالى في سورة القمر ﴿فكيف كان عذابي ونذر، ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ فكرر آيات الوعيد والتهديد ليجدوا عند استماع كل نبأ من أنباء الأولين ازدكارًا واتعاظاً، وأن يستأنفوا تنبهاً واستيقاظاً، إذا سمعوا الحث على ذلك والبعث.

١١- ومن التكرير نوع حسن تتكرر فيه الجملة مع اختلاف في صياغتها؛ لأن الاختلاف في الصياغة من عناصر القوة في التكرير كما يقول الزمخشري:

مثل قوله تعالى في سورة ص ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وفرعون ذو الأوتاد، وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة، أولئك الأحزاب، إن كل إلا كذب الرسل فحق عقاب﴾، فقد ذكر تكذيبهم أولاً في الجملة الخبرية على وجه الإبهام ثم جاء بالجملة الاستئنافية فأوضحه فيها بأن كل واحد من الأحزاب كذب جميع الرسل؛ لأنهم إذا كذبوا واحداً منهم فقد كذبوهم جميعاً، وفي تكرير التكذيب وإيضاحه بعد إبهامه والتنويع في تكريره بالجملة الخبرية أولاً، وبالاستئنافية ثانياً، وما في الاستئنافية من الوضع على وجه التوكيد والتخصيص، أنواع من المبالغة المسجلة عليهم باستحقاق أشد العقاب وأبلغه[1].

١٢- وهناك من التكرير ما يضاف فيه مع الكلام تكرير جملة جديدة ذات أهمية في المعنى، قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿يسألونك عن الساعة أيان مرساها، قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو، ثقلت في السماوات والأرض، لا تأتيكم إلا بغتة، يسألونك كأنك حفي

---

[1] الكشاف جـ٤ ص (٥٩) .

عنها" فقد كرر قوله "يسألونك" مضافاً إليها قوله: ﴿كأنك حفي عنها﴾ لما فيه من زيادة في المعنى "وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة....."[1] .

١٣- أيضاً قد يكون التكرير للاستبعاد كقوله تعالى في سورة "المؤمنون" ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾.

١٤- ويجئ -أيضا- التكرير للتهويل كقوله تعالى في سورة الحاقة ﴿الحاقة ما الحاقة﴾ وقوله تعالى في سورة القارعة ﴿القارعة ما القارعة﴾.

١٥- ويكون التكرير- أيضاً- للتعظيم والمدح كقوله تعالى في سورة القدر ﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر، وما أدراك ما ليلة القدر﴾ وقوله تعالى في سورة الواقعة ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين﴾.

١٦- ويكون التكرير لتأكيد غرض من أغراض الكلام، أو للمبالغة فيه، وذلك:

أ- كنفي الريبة، وإبعاد التهمة في قوله تعالى من سورة البقرة ﴿آمنا بالله وباليوم الآخر﴾ فكرر الخافض (الباء)؛ لأن الآية تحكي كلام المنافقين وهم أكدوا كلامهم، نفياً للريبة، وإبعاداً للتهمة، فنفى الله الإيمان عنهم بأوكد الألفاظ فقال ﴿وما هم بمؤمنين﴾.

ويكثر ذلك مع النفي، وقد جاء في القرآن على موضعين: في النساء ﴿ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ وفي التوبة ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ .

---

[1] نفسه جـ٢ ص (٤٥).

ب- وكالغزل في قول امرئ القيس

دِيارٌ لســـلمى عافياتٌ بذي الخال ألحَّ عليـــها كـــل أســـحم هـــطال

وتحسب ســـلمى لا تزال كعهدنا بوادي الخُزامى أو على رأس أو عال

وتحسب ســـلمى لا تزال ترى طَلاً من الوحش أو بيْـــضا بميثاءَ مخلال

ليالي ســـلمى إذ تريك منـــضَّدا وجيداً كجيد الرئم ليـــس بمعـــطال

فكرر الشاعر كلمة "سلمى" للمبالغة في الغزل.

ج- وكالتنويه به، والإشارة إليه بالذكر، ويشمل ذلك:

١- المدح كقول الخنساء في أخيها صخر:

وإنّ صخـــراً لمولانا وسيِّدنا وإنّ صخراً-إذا نشتو- لنحَّارُ

أغرُّ أبـــلجُ تأتمّ الهـــداةُ به كـــأنّه عـــلمٌ في رأســـه نـــارُ

فتكرير اسم الممدوح هنا تنويه به، وإشادة بذكره، وتفخـــيم لـــه فـــي القلـــوب والأسماع[1].

وكقوله تعالى ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم﴾.

وقوله تعالى في سورة المائدة ﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا﴾.

٢- الهجاء على سبيل التشهير، وشدة التوضيع بالمهجو، كما صنع جرير فـــي قصيدته التي سمّاها "الدامغة" في هجاء الراعي النميري فإنه كرر"بني نمير" في كثير من أبياتها.

---

[1] البلاغة الغنية ص (١٨٣).

ومن أبياتها المشهورة:

فغض الطرف إنك من نمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

٣- التقريع والتوبيخ، كقول الشاعر:

إلى كَمْ وكَمْ أشياءَ منكم تَريبني أُغمِّض عنها لستُ عنها بذي عَمَى

٤- التعظيم للمحكي عنه، كقول عدي بن زيد:

لا أرى الموت يسبق الموت شيء نَغَّصَ الموت ذا الغني والفقيرا

٥- التوجع في الرِّثاء والتأبين، كقول مُتَمِّم بن نويرة يرثي أخاه مالكاً

وقالوا أتبكي كُلَّ قبر رأيته لقبرٍ ثَوَى بين اللّوى فالدكادك

فقلت لهم: إنَّ الأسى يبعث الأسى ذروني فهذا كلُّه قبرُ مالك

٦- التعجب كالذي رواه القالي عن أبي بكر بن الأنباري عن أبيه:

لما تَبدَّتْ من الأستار قلتُ لها سبحانَ سبحانَ ربي خالقِ الصور

ما كنتُ أحسب شمساً غيرَ واحدة حتى رأيتُ لها أختاً من البشر

كأنَّها هي إلاَّ أنْ يُفضِّلها حسنُ الدَّلالِ وطرفٌ فاترُ النظر

وكقوله تعالى ﴿فقتل كيف قدر، ثم قتل كيف قدر﴾ والتكرير دلالة على التعجب من تقديره وإصابته الغرض!!!.

٧- الازدراء والتهكم والتنقيص:

كقول حماد عجرد في ابن نوح -وكان يتعرب-:

يا بن نوح يا أخا الحِلسِ م ويا بن القتب

ومَنْ نَشَأ والِدُه بين الرُّبا والكُثُب

يا عربيُّ يا عربيُّ م يا عربيُّ يا عربي

الخاتمة

وبعد، فإن التكرار يخلع على الكلام رونقاً وجمالاً، ويضفي عليه بشاشة وبهاء ويضيف إليه ألوانا من الأنغام المحببة، ويشقق منه صوراً جديدة، تحمل أطيافاً جديدة من المعاني والأخيلة، والصور والعواطف، وإن متَّت إلى الأصل برحم واشجة، وسبب أكيد.

وهذا هو الفرق بين الإطناب والتطويل، ذلك أن التكرار الفني البليغ لا يقع متحداً في جوهره أبداً، بل لابد أن يتحفنا بشيء من التلوين اللفظي والمعنوي، والصوتي، فيه جدة وطرافة لا توجد في الفقر السابقة عليه.

وتكرار القرآن على اختلاف فنونه اقتضته البلاغة الرفيعة، ووقع موقعه من الصناعة العربية الفخمة، وأساليبها العالية، فنزل منزلة التسليم والقبول من المزاج العربي والطبع العربي، والذوق العربي، ولو لم يكن مذهباً معروفاً مألوفاً استعمله العرب في أساليبهم، وطريقاً سلكوه لأتخذه الطاعنون مطعناً في أسلوب القرآن الكريم، ولوصلوا بذلك إلى غايتهم من النيل من القرآن الكريم، ولكن تحداهم فافتضحوا بالعجز الواضح البين[1].

وقد يأتي بأداء المعنى الواحد في صورتين مختلفتين صياغة وعبارة وترتيباً إمعاناً في التحدي، وإفحاماً للخصوم.

ثم إن في التكرار -إثبات قدرته- تعالى- على تكرير مراده في صور متعددة، ونسق مختلف مع اتحاد المعنى، ووقوع الإعجاز وذلك غير مقدور لغيره -سبحانه-.

---

[1] نفسه ص (٢٠٠).

وكان من الضروري لإقامة الدليل -أيضاً- على أن أسلوب القرآن لا يقف عند طريقة واحدة في التعبير وصورة بعينها، ونظم رتيب، ليس فيه مجال القول لمن يتحداهم، بأن سبب عجزهم هو أنهم بصدد كلام مصاغ بطريقة واحدة جامدة لا تتغير.

فجاء القرآن بكل الطرق، وعلى كل الصور، وفي نظم مختلف ليمنح الفـرص الرحيبة، ليأتوا بمثله، فلم يبق لهم أمام ذلك إلا الاعتراف بالعجز الكامل.

وكان للتكرار أغراض بلاغية كثيرة، وفوائد جمة سبق التعرض لكثير منها.

والحمد لله في الأولى والآخرة.

أهم المصادر والمراجع

وهي بعد القرآن الكريم التالي:

١- أمالي المرتضى (غرر الفوائد ودرر القلائد) - الشريف المرتضي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الكتاب العربي ببيروت -١٩٦٧م.

٢- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية- مصطفى صادق الرافعي- المكتبة التجارية بالقاهرة ط سابعة ١٩٦١م.

٣- الإتقان في علوم القرآن - السيوطي- دار مصر للطباعة.

٤-البلاغة الغنية- علي الجندي- نهضة مصر للطباعة.

٥- البيان والتبيين - الجاحظ- تحقيق وشرح السيد صقر- ط ثانية- دار التراث -١٩٧٣م.

٦- البحث البلاغي عند العرب- د/ شفيع السيد- دار الفكر العربي.

٧- البلاغة القرآنية عند ابن قتيبة- د/صلاح محمود شحاته- المكتبة التوفيقية- ١٩٨١م.

٨- البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري- د/محمد أبو موسى- مكتبة وهبة.

٩- بغية الإيضاح - عبد المتعال الصعيدي- المطبعة النموذجية.

١٠- البرهان في علوم القرآن - الزركشي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ط عيسى الحلبي- ١٩٥٧م.

١١-تأويل مشكل القرآن- ابن قتيبة- تحقيق وشرح السيد صقر- ط ثانية- دار التراث ١٩٧٣م.

١٢- التصوير الفني في القرآن- سيد قطب- ط دار الشروق- بيروت- ١٩٧٣م.

١٣-الحيوان – الجاحظ- تحقيق وشرح عبد السلام هارون- ط ثانية- مصطفى البابي الحلبي.

١٤- الصناعتين- أبو هلال العسكري- تحقيق علي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم- عيسى الحلبي.

١٥- الصاحبي- أحمد بن فارس- تحقيق سيد صقر- ط عيسى الحلبي ١٩٧٧م.

١٦- الطراز- العلوي- ط المقتطف.

١٧- العمدة- ابن رشيق- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- ط دار الجبل – بيروت.

١٨- الكشاف- الزمخشري- مطبعة الاستقامة.

١٩- لسان العرب- ابن منظور –دار المعارف.

٢٠- مناهج تجديد- أمين الخولي- ط أولى – دار المعرفة.

٢١- المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع- السجلماسي- تحقيق علال الغازي – مكتبة المعارف- الرباط.

٢٢- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر- ابن الأثير –تعليق د/أحمد الحوفي ود/ بدوي طبانة- دار نهضة مصر- ط ثانية.

٢٣- المغني في أبواب التوحيد والعدل- القاضي عبد الجبار- تحقيق أمين الخولي- ط أولى- ١٩٦٠م.

٢٤- المسائل البلاغية في كتاب الصاحبي- د/ فريد النكلاوي- مطبعة الأمانة.

٢٥- نكت الانتصار- الباقلاني- تحقيق د/محمد زغلول سلام- ط دار بورسعيد بالأسكندرية.